Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

الغـــزاليّ والمـــولويّ

الدكتور عبدالكريم سروش
مؤسّسة الدّراسات والبحوث الثّقافيّة

في المقـال دراسة عن عارفين كبيرين، هما الغزالي والمولوي، رغم المصاعب التي يواجهها المتأمّل في شخصيّة هذين الفذّين، قض الكاتب مضجعه ليعرّفنا عليهما أوّلاً، ثمّ يبيّن لنا معالم طريقة كلّ منفرداً والتفاعل الكبير الذي حصل للمولوي من عقائـد الغزالي وسلوكه وتأثير العالم الإسلامي بأفكارهما القوية الباعثة النابعة من قـرارة أنفسهما.

قد عزف الغزالي والمولوي كلاهما عن حبّ الدنيا وملذّاتها والولع بها وصرفاً حلّ همّهم في حبّ الله ورضاه والسلوك إليه والعدول عمّا سواه وتركوا لمن خلّفهم مشرباً عرفانيّاً نقيّاً عذباً بعيداً من التدليس والرّياء والملق.

ويورِد الكاتب في مقاله هذا ميزات واختلاف كلّ منهما في آرائه ويقف عندها موقف الناقد المرهف.

قلّما نجد بين مفكري العالم الاسلامي من لم يتأثر بأفكار المتكلّم والصوفي الايراني المسلم الكبير الامام أبي حامد محمد بن محمـد الغـزالي الطوسي، وصان النفس من تأثير حركته البـاعثة القوية، هذه الصيانة التي هي عين الحرمان، فكيف يمكن لشخص أن يتلقف عبـاراتـه العـذبـة البيان، وجزالة أسلوبه، وسداد فكره، وقدرته على التحليل، وجرأته في النقد، غــزارة علمه، وطهارة ضميره، وأن يسمع مايموج في عباراته من خشية المعاد، وشوق إلى اللقاء، وما يظهر من بغض شديد لمختلف العلماء العـاطلين، والفقهـاء السـطحيين، والصـوفية الجشعين التائهين، فيرى كل هذا ويدركه ولا يأبه له، ويبقى على حاله، لقد كان كلامه يخرج من القلب ليدخل إلى القلب، وكانت أفكاره تسري في الصدور كالنسيم، وتشع كالنور من النوافذ، وكملاك يغلب على خيال الخلائق، وكان سبب هذه العظمة صغر الدنيا في عينيه[1].

لقد كان في اوج النعمة والشهرة حينما طرق الهاتف الرباني في ثوب وسوسة تتقد قلبه الكسير، فصغرت الدنيا في عينيه، واضـطرم في نفسـه عطش مبارك، فلبّى داعي الحق صادقاً، وأسلم قلبـه إلى مسخر الأرواح، وعزف عن مجالسة الأمراء والأعيان، والشهـرة في دار الاسـلام، والحب عند السلطان، والتدريس في النظامية، ونفض يديه من الأوهام طلباً لليقين، وانقطع عن ملذّات الدنيا ومتعها، ومال إلى الخلوة والعزلة، وأسلم نفسه للتفكير والنظر، وفتح نافذة قلبه لنفحات رحمـة الرحمن المنعشة للروح، واغتسل بماء الرياضة، ولبس ثوب الامـلاق، وحبس النفس، وعـزر الهوى، وأطاح برأس الـطمـع، وسن حجـر القلب بألمـاس ماء العـين شوقـاً منه للمحبـوب، وكـابـد الجوع والصمت والسهر، وقضى الأيام

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

بالآلام حتى أحـرق أدران النفس بنـار المجاهدة والمراقبة، واطمـأنت شمس القلب من كسـوف الهوى، وحلت عيسى المعرفة في أحضان روحه، وأضيء مصباح نفسه بزيت عشق الحق ونار جذبته، وخرج من الخلوة كالكوكب الدريّ، وعلى رأسه تاج من «كرّمنا» وعليه خلعة من «عبادي» فأطلق لسانه في إرشاد العباد، وبادر إلى تأليف «إحياء علوم الدين».

وجرّد سيف النقمة على الفقهاء غير المتقين الذين اقتصروا على الظواهر، وغرقوا في قشور الدين، واقتنعوا بالافتاء بدل التفقه، واتّخذوا من العلم بالحلال والحرام سلماً للرقي في الدنيا والتقـرب من السـلاطين، وسكتوا عن لب المعلوف وخواطر البـاطن، وعن سر الـطهـارة التي هي طهـارة السر، ونسوا الشـريعة العطرة، ومضمون الوحي المثير الذي هو التقوى والإخـلاص والمحبـة، وأهملوا آفات النفس، وتمسكوا بالحيل وبـاعـوا بمكـرهم أحكـام الشريعة بثمن بخس، واعتبروا الخلافيات مثالاً أعلى للعلوم الدينية[٢].

وحمـل على الفلاسفة الضالين الذين أحلوا أنفسهم محل الأنبياء، ودنسوا الشريعة بآراء الغرباء، ووضعوا قفل أسطورة أرسطو على باب أفضل الأمم، ونقش أفلاطون المستهلك رمزاً لأحسن النحل[٣]، وأضرموا نيران الشك في بيدر يقين الخلائق، وفضلوا حكم العقـل على أحكـام الشـريعة لغـربتهم عن حواس الأنبياء.

وذمّ علماء الكـلام الـذين يعقـدون مجـالس المنـاظـرة، ويلجـؤون إلى أنـواع الحـيل والـفنـون لطعن الخصـوم والاستخفاف بهم، ويجعلون همهم ترقيع ثوب الدين، وأثوابهم مدنسـة بالـرياء والكـبر والحسـد، ويرون أن الاستماع إلى أقاويلهم الماحقة للايمان شرط للوصول إليه، وأضاعوا أعمارهم في مجـادلة الخصوم دون أن يبادروا ولو لحظة إلى الجدال مع أنفسهم، وكم يتحملون من نَصَب ويظهرون من فضل في تتبع عيون الآخرين، لكنهم يتسامحون ويغفلون في الكشف عن عيوبهم، ويقضون أعمارهم في حل عقد واهية دون أن يلحظوا عقدة وجودهم[٤].

وصرخ في وجه الوعاظ الذين يذمون الرياء وهم مراؤون، ويتحـدثـون عن الاخلاص وهم منه عاطلون، ويميلون في كلامهم إلى السجـع والوزن ليشنف الآذان ويأسر القلوب، ويستشهدون بأشعار الفراق والوصال لبعث النشاط والطرب لدى المخـاطبين، ويوردون الكلام المتشابه والشطح وطامات الصـوفية ليتـظاهـروا بالتصـوف، لايدعون الناس إلى الله بل يدعونهم إلى أنفسهم، ويتحدّثون عن الأنس بالله، لكنهم لايتحملون الخلوة لحظة واحدة، ويتحدثون عن آفات الشهرة وهم لايتحملون إعراض الناس وقلّة المريدين وهم مغرمون باقبـال النـاس عليهم وتكـريمهم، يعـرفـون الـدواء جيداً ويصفـونه، لكنّهم لايصفون المراهم على جراحاتهم النفسية الخفية. هؤلاء هم شياطين الإنس وأباليس البشر، وأكلة اللحوم البشرية، ينفثون أنفاسهم السامة كريح الخريف في غرسات الروح الطرية[٥].

وأزاح الستار عن مدعي الصوفية الذين سقطوا في حبائل مختلف أنواع الغرور، وهم يقلدون المتصوّفة في زيهم وهيأتهم. يُطرِقـون برؤوسهم، ويتأوهون بأصواتهم العالية، ويتحدثون خافتين، ويحملون السجادة على أكتافهم، ويحضرون مجالس الـرقص والسـماع، ويرددون الأوراد، ويلبسـون الصـوف، ويحملون المسـابح، ويزورون المشايخ، ويتفاخرون بالرواية عنهم، ويقضـون حياتهم في الخـانقـاهـات عاطلين باطلين، ويكسلون عن طلب الحـلال، وينـظرون إلى الفقهـاء بعـين السخـرية والإعـراض، ويقلدون في رصف الألفاظ الموزونة المنمّقة، ويتخـذون من كلام أرباب القلوب وسيلة للشهرة والرياء، ويدّعون الوصال واللّقاء والغناء، وشرٌّ من هذا طائفة لانصيب لها من تألق الـروح وصفـاء الإيمان طووا بسـاط الشرع، وطلّقوا الحلال والحرام، وسقطوا في حبائل الإباحية، وزعموا أنّ انهماكهم في الإشتغال بأحوال القلب والبحث عن أسـرار البـاطن جعلهم غافلين عن أعمال الجوارح، يعتقدن باطلاً أنهم لماهم فيه من كمال القدرة وعلو المرتبة لايمكن لأي رجس من الآثام أن يدنس ساحتهم، ولا لأي حرام أن يلوث صفـاءهم، ويرون أنهم في غنى عن التهـذيب والتـطهـير لايأبهون، من تصوّرهم السقيم، لغلبة الغضب والشهوة. فليس عجيباً وهم يملكون هذه المواهب من الجهل والرعونة أن يقبلوا أحياناً هبات السلاطين، وأن يضربوا في البادية بلا صاحب ولا قوت بإسم التوكل، ويلقوا بأنفسهم إلى التهلكة. وإذا اتفق أن حدث لسـالـك في بداية الـطريق الطوالع واللوائح، حَسِب

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

مغروراً كالأطفال أنها نهاية الوصال وتبدت في مذاقه حلوى لذيذة تبهج الفؤاد، وربما يسبق لسانه في هذا الدهشة فيقول: أنا الحق، ويرى اللّه في بردته[٦]، فياللعجب «العلوم الدينية كلّها قد فسدت وضعفت إلّا التصوّف، فإنّه قد انمحق بالكلّيّة وبطل»[٧].

إنّ تبحّـر الغـزالي في العلوم الدينية، وماضيه المشرق في التدريس والمناظرة، وصفاء زلال حديثه، واستغنائه عن الأمراء والسلاطين، وشجاعته في فضح عيوب المشرعين، حبّه الخالص وشـوقـه الحار لجلاء جوهر الدين، والترغيب بتزكية النفس والـزهـد والقناعة في الحظوظ الدنيوية، والخوف من العاقبة، وتفقـد أحـوال القلب، جعل كلامه راسخاً جذاباً جمع حوله الكثير من الأنصار إلى جانب قلّة من المعارضين، وظل صوته كصدى حديث الحب خالداً في هذا الفلك الدوّار، والذين جاءوا بعده كلٌّ حسب حاله وموهبته طرح قبساً من أنوار أقواله وأحواله.

لقد كان الصوفي العاشق الولهان في القرن السابع الإمام مولانا جلال الدين والذي «كانت يتدلّى من كل شعرة في رأسه مائة ألف شمس التبريزي»[٨] متلاحماً مع أبي حامد الغزالي في سرّ الضمير، ينظر إليه من نافذة قلبه، ويجني الثمار من أغصان تلك الشجـرة الـطيبـة، لم يكن التشابه بين هاتين الروحين بالقليل، فكلاهما كانا من كبار علماء زمانهما، وكلاهما استقطبا الكثـير من المتعلمين بما كانا يتمتعان به من نوادر الحديث، وقـدرة في الكلام، وبسطة في العلم، فازدهر المنبر بوجودهما، وكلاهما شغلا منصب الإفتاء والتدريس، وخطيا بحب وتكريم الرؤساء والأمراء.

في عام ٤٨٨ هـ وبعـد شهـور من الصـراع والالتهاب الروحي فرّ أبو حامد، وهو في الثامنة والثلاثين من عمره، من بغداد الساحرة الفاتنة، مقر الخلافة، ومربع المتكلمين، ومحفل الأدباء، عازماً في الظاهر لأداء فريضة الحج، وقاصداً في الباطن العزلة، ملتمساً طريق الشام، تاركاً عظمة وغرور تلك الديار والتجـارة بالعلم لصبية العراق[٩]، وترك هوى ليلى وسعدي وعاد إلى مصحوب أول منزل[١٠]، واسترجع الحق المغصوب من الجسـد، وذهب إلى جامـع دمشق وأقام مدة طويلة في مناره، واختار العزلة يتأمل في أحواله الماضية: منشغلاً، بتدارك مافاته.

كما كان جلال الـدين في الثـامنة والثلاثين حينما ذرقرن شمس عام ٦٤٢ هـ في تبريز، فغدت لياليه نهاراً، وأصبح ذلك الجليس الجليل في المحـراب، لعبـة أطفـال الحارة[١١]، وذلك المؤدب العالم عاشقاً ولهانا[١٢]، ولم يعد الغزالي منذ ذلك الوقت، ذلـك الغزالي الأول، ولا المولوي، ذلك المولوي الأول، فقد ألبســا مادتهــا الأولى صورة جديدة، وأضفيا على شريعـة المسلمين وعرفانهم صورة بكراً.

نحن نعلم أنّ أحد مستوري قباب الغيرة باسم تبريزي، أخذ بلباب المولوي، ولكننا لاندري أيّ فاتن سخّر قلب الغزالي، فإشاراته لاتؤمي إلى أكثر من أنّه كان في بداية السلوك يشاور بعض العـرفاء[١٣]، ويروي بعضهم أن تحذيرات أخيه أحمد الشـديدة دعت إلى زهـده وعـزلتـه[١٤]، ولاجرم أنهم كانوا يعتقدون بأن ذلك التطور العجيب نشأ عن ضربة فجائية، وقد زاد من التشابه بين هذين العالمين الكبيرين ما كانا فيه من الرياضيات الطويلة، والإعراض عن الطيّبات، والتقيّد بآداب الشـريعـة وأصـول الأشعرية، واستباحة السماع، والقيام في الليل، وقلّة الطعام والمنام.

لقد كان جلال الدين زعيم العشّاق والمفتونين، ومؤجّج نار المحبّـة في الأفكـار[١٥]، ومعلّم العشق الشـديد الحـارق للوسـاوس[١٦]، ومعلّم الحبّ المجنـون المعارض للحكمة[١٧]، وكان كلامه كله عن الوصال والمحبوب[١٨]، وصدره حانة لجميع العـالم[١٩]، يفتي بإراقة دماء الحزن[٢٠]، وقطع رأس الهمّ[٢١]، لكثرة طربه وسروره[٢٢]، ويحطّم باب السجن الأبدي في حالة السكر والعربدة والصياح[٢٣]، ولايستطيع أن يكون مؤدّباً في سكره هذا[٢٤]، ويكاد أن يمزق النطق جسمه عند وصف خال الحـبيب[٢٥]، لـذلك كلّـه كانـت بينـه وبيـن أبي حامـد فراسخ طويلة، فقد ظلّ أبو حامد سنين طوالاً يصارع النفس ويغـرق في الحزن والندم، ويهرب من آفة نفسية إلى أخرى، وكـانت خشيتـه من خداع النفس تجعل كأسه مرة المذاق، ونفسـه مليئة من خوف الحجوب عن الحق[٢٦]، ويؤلم القلق والاضـطراب قلبـه الحساس، ويموج حديثه بالخوف والحذر والانتباه[٢٧] بدل الجرأة والعشق والوصال، ويفكر دائماً بعجز النفس عن الغلبة على مكايد الشيطان ولايرى طريقاً للغلبة على وسـاوس النفس غير طريق المجاهدة والصراع الدائم

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

الذي ينهك الروح[٢٨]، ويكتفي بعلم المعاملة، ولايأذن للكتابة عن أسـرار علم المكاشـفة[٢٩]، وينـظر إلى آفـات النفس وجـراحـاتهـا كالطبيب المدقق، ثم يصف الدواء، ويحل عقد الـرذائل والفضائل عقدة عقدة ويفصل لحمتها عن سداها، وكان يغضب للرّذائل، ويزجر ويعاتب بالملاطفة وتجربة المعلم، ويصلح كل شيء بهدوء وأنـاة، ويدعـو إلى اجتنـاب إثـارة العـواطف، ويعتبر الصّخب والحدة والانفعال من شأن أهل الدنيا[٣٠]، ولا يغامر في حديثه عن الحب، ويصب وقاره وهدوءه في الكلمات، ويبرد نار الحديث بماء الأدب.

ولم يكن لتلك الصرخات وثورات الحب وعربدات السكر، وحارقات العافية، أثر في كلامه، وإذا ما استثنينا بعض الحالات النادرة التي ينم فيها لحنه عن أيام مناظراته الكلامية، وتفوح منهـا رائحـة تحقـير الخصم والاستخفاف بالمنافس[٣١] فإنّنا نشاهد فيه بركاناً خمد اضطرامه وثورته، يسيل من خارجه رغم نيران داخله ماء عذب سلسبيل وكأنّه الكوثر العذب.

ولاشكّ في أنّ المولوي لم يأخذ بحظ من المعارف الإسلامية إلّا وكان نصيب الغزالي منه أوفر، فهو باعتراف المولوي «أعلم العالَمين». ولاشكّ أيضاً في أنّ المولوي كما سنورد اقتبس بعض عناصر العلم العرفاني والأخلاقي العالمي منه، أو كانا مترافقين فيها، لكن الذي يميز المولوي عن الغزالي وأمثاله من العرفاء، نفسـه المتـأججـه، وكـلامه الملتهب، قلمه المحرق، ولم يكن المولوي ناري الصفة فقط، بل كان في معالجته لايعرف دواء مؤثـراً كنار الحب، وإذا كان الغزالي يداوي بالماء، فقد كان المولوي يصنع من النار دواءً، وكانت خلعة الروح الوسخة التي يريد الغـزالي أن يطهرها بماء الورع، يعرضها المولوي لنار المحبّـة لتحـترق أوسـاخها وتمتاز بالصفاء والنقاء[٣٢]، وكان عفـريت الوسوسة الذي يريد الغزالي أن يقيّده بقيد الذِّكر وسـواعد المجاهدة[٣٣]، يقطع المولوي رأسه بساطور المحبّة، وكانت عقدة الجبر والقدر التي يريد الغزالي أن يحلها بأنامل الفكر والمنطق[٣٤]، يحلّها المولوي باشارات المحبّة الساحرة، لنتجاوز عن أنّ ألم الحبّ لم يكن يعطي المولوي مجالاً للبحث والنقاش الكلاميّ، وإن كان ينهج نهج الغزالي في طرد الفلاسفة والمتكلمـين، ويرى همسـات شكوك الفلاسفة منافية للايمان الخـالص، ويفضـل البـلاهة على الفلسفة[٣٧]، لكنّه لم يكن ليدخل في جدال فلسفي معهم، ولاهتم بسقي الظمآى، ومع أنّه كان يفضّل الرّبابة على كل ملذّات الدنيا، ويبيح السماع[٣٨]، (وقد دفع هذا المتدينين للطّعن فيه) وكان يلحح بعدم وجوب الالتـزام الكـامـل بالفـرائض[٣٩]، فإنّه لم ينزع إلى مجادلة الفقهاء، ولم يصرح بذم طلاب الدنيا والجاه منهم، ولم يستصغر كالغزالي صنعتهم مقابل العلم بآفات النفس، وإن كان يجعل الهنـدسـة والفلسفـة وعلم النجوم والطبّ، ازاء طريق الحق ومنازل أرباب القلوب، كعلوم بناء الإسطبل، ولكنّه لم يحمل على الفقه[٤٠].

إن الاختلاف بين الغزالي والمولوي من هذا النوع، وسنورد نماذج أخرى ليزداد هذا المعنى وضوحاً؛ ولكنّ المواضع التي اقتبس وتعلم منها المولوي من الغزالي كثيرة أيضاً تجعل القارئ يعتقـد بأنّ آلام هاتـين الروحين متماثلة ومتشابهة جدّاً، وكأن صورة الغزالي انطبعت في قلب المولوي الذكي لمتحدثه عن حب المعبود وسرّه، ولابدّ من أن الذين شربوا شراب المعرفة طهوراً من دن المثنوي، تناولوا الكأس سرّاً من يد الغزالي. ولو أنّ الغزالي كان يجلس صامتاً، فقد كان يشع كالقمر، ويبعث نور الإشراق في المشتاقين: فكيف إذا نطق لايشرق على مرآة كالمولوي ولايقرأ الأسرار في أُذنيه[٤١].

كان الغزالي عالماً عاشقاً، وكان المولوي عاشقاً عالماً، علم كلّيّ بعنان وحبّ فردي بلا عنان. كان كلام الغزالي عبارات كلّيّة في إحياء الدين، وكان شعر المولوي عبارات فردية عن فوران الـدم. كان ذاك كالوجود الذهبي وكان هذا كالوجود الخارجي، كان ذاك كالمطر ينهلّ على الجميع، وكان هذا كالنار تحرق القابلين فقط، سلام على الاثنين، لايكتمل أحدهما إلّا بالآخر.

نحن لانتـطرّق في هذا المقال إلى القصص والتشبيهات والأحـاديث النبـوية التي أخذها جلال الدين من كتب أبي حامد والتي استخرجت وتم التحقيق حولها في مكانها جيّداً[٤٢]، ولانشير إلى آراء وتعاليم الصوفية العامة التي وردت في جميع مصـادر التصـوفة الأصلية والتعليمية، والتي لايتيسر دخول طريق السلوك والتخلّق بأخـلاق الصـوفية، والتأدب بآداب المشـايخ دون الاطّـلاع عليها، كالتوبة والاخلاص والشكر والزهد والفقر و.... فكلا الغزالي والمولوي تكلما في هذه المسائل

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

كثيراً مما يدل على أنهما جرعا من عين واحدة، ونحن سنبادر على الأغلب إلى ذكر نماذج من أبيات مثنوي تبدو أكثر تأثراً من غيرها، وتحتوي على الأفكار الخاصة بالغزالي، أو تضمنت تعـابـير وكلمات له. سنشير إلى بعض كنايات المولوي التي يقصد بها الغزالي مباشرة، وإلى بعض الاختلافات بين هذين العـالمـين في الدرك والتفسير، ورغم قدرتنا على توسيع مجال القياس هذا، فقد اكتفينا بالمثنوي عن المولوي و بإحياء علوم الدين عن الغزالي، متمثّلين بأنّ «كلّ الصيد في جوف الفراء». ولأنّ لبّ وعصـارة وجميع إنجازات هذين العالمين الكبيرين، وعلومهما المعنـوية والعـرفانية مودعـة في هـذين السـفرين المقدسين.

(١)

لقد أورد الغزالي ثلاثة أدلّة رئيسية على تفسير وتعليل ذمّ علم النجوم، الأول لايتعلق بعلم النجوم، بل هو بصورة عامة يدور حول البحث عن السبب ومعـرفتـه، والـذي هو نتاج بحوث البشر العقلية والتجربية (ومنها علم النجوم)، ويرى أنه يتضمن خطراً خفيّاً هو أن قصر النظر على الأسباب والتوغل في كشف الروابط والوسائط يمنع الذهن عن النظر إلى مسبّب الأسبـاب، ويقوّي في النفوس الضعيفة الناقصة التوهّم بأنّ الخيوط هي كل شيء، ولايوجد من يمسك برؤوس الخيوط هذه ويوجهها:

«فانّ الضعيف يقصر نظرَه على الوسائط والعالم والراسخ هو الذي يطلع على أنّ الشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره سبحـانـه وتعـالى... فأكثـر نظر الخلق مقصورٌ على الأسباب القريبة السّافلة، مقطوع من الترقي إلى مسبّب الأسباب...»[٤٣].

وللمولوي:

آن مبـدل بين وسـايط را بمـان
كز وســايط دورگردى زاصـل آن
واسـطه هر جا فزون شد وصـل جست
واسـطه كم، ذوق وصـل افـزونتراست
از سـبـب دانـى شـود كم حيـرتـت
حيرتـى كه ره دهـد در حضـرتت[٤٤]
چشـم بنـد خلـق جز اسـبـاب نيست
هر كه لرزد بر سبب زاصحـاب نيست[٤٥]
اين سـببهـا بر نظـرهـا پرده هاسـت
كه نـه هر ديدار صنعش را سزاست[٤٦]

ونحن نرى أنّ كلام المـولـوي أكثـر غناء في المضمون، فالغـزالي ينبهنـا إلى نوع من الخـطأ الفكـري، ويحذرنا من السذاجة، أما المولوي فقد كان ينظر إلى الحبيب في كل حال نظرة العـاشق الولهان (لانظرة العالم) ولذلك كان يعتبر أن معـرفـة السبب تؤدي إلى الابتعـاد عن الحبيب والبحث عن الـوسائط والخوض في الكثرة والحرمان من الوصال. والذي يطلبـه العشـاق ليس العلم الصـادق، بل الاتحـاد بالمعلوم والمعشوق. ولذلك فإن كل علم، مهما كان، هو في النهـاية نوع من الحجاب ولابدّ من خرقه.

ويذكّرنا مايورده الغزالي في مواصلته لهذا البحث، ويعتبر فيه العلم غير النـافـع من العلوم المذمومة، وبعض المعارف عقيمة ومضرة ويقول: «فيجب كف الناس عن البحث عنها، وردّهم إعلى مانطق به الشرع... فكم من شخص خاض في العلوم واستضـرّبها، ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين ممّا صار إليه»[٤٧]، يذكّرنا بأبيات المولوي التالية:

اى بسـا علم و ذكـاوات و فطـن
گشتـه رهـرو را چو غول و راهـزن[٤٨]
چون مبـارك نيسـت بر تو اين علوم
خويش را گولى كن و بگـذر زشـوم
احـمـقـيّم بس مبـارك احـمـقـى اسـت
كه دلم بابـرگ و جـانـم متّـقـى اسـت
گر تو خواهـى كت شـقـاوت كم شود
جهـد كن تاازتو اين حكـمـت رود
عقـل قربـان كن به پيش مصـطفـى
حسـبـى الـلّه گو كه الـلّه كَفـى[٤٩]

(٢)

للغزالي:

«... ظنّ بعض الضعفـاء أنّ الاقتداء بالأقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أنّ وظائف الأقوياء تخالف وظائف الضّعفاء... إذ النّهاية تردّ الأعمال إلى الباطن، وتسكّن

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

الجوارح إلّا عن رواتب الفرائض فيتراءى للنّاظرين أنها بطالة وكسـل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذّكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام. وتشبّه الضعيف بالقوّي فيما يرى من ظاهره أنّه هفوة يضاهي اعتذار من يلقى نجاسةً يسيرةً في كوز ماء ويتعلّل بأنّ أضعاف هذه النجاسة قد يلقى في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز. ولايدري المسكين انّ البحر بقوّته يُحيل النجاسةَ ماءً فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز ويحيله إلى صفته...»[٥٠]

للمولوي:

صاحب دل را ندارد آن زيان
گر خورد آن زهر قاتل را عيان
گفت پيغمبر كه اى طالب جرى
هان مكن باهيچ مطلوبى مرى
در تو نمرودى است آتش درمرو
رفت خواهى اول ابراهيم شو
كاملى گر خاك گيرد زر شود
ناقص ارزر بُرد خاكستر شود
اى مرى كرده پياده باسوار
سر نخواهى برد اكنون پاى دار[٥١]
گر ولى زهرى خورد نوشى شود
ورخورد طالب سيه هوشى شود[٥٢]
اين چنين بهتان منه بر اهل حق
كاين خيال تست بر گردان ورق
اين نباشد وربود اى مرغ خاك
بحر قلزم را زمُردارى چه باك؟
نيست دون القلّتين و حوض خُرد
كش تواند قطره اى از كاربرد
آتش ابراهيم را نبود زيان
هر كه نمرودى است گومى ترس از آن
حوض بادريا اگر پهلو زند
خويش را ازبيخ هستى بركند
نيست بحرى كوكران دارد كه تا
تيره گردد او ز مردار شما[٥٣]
هان وهان ترك حسد كن باشهان
ورنه ابليسى شوى اندر جهان
كو اگر زهرى خورد شهدى شود
تو اگر شهدى خورى زهرى بود
تو رعيّت باش چون سلطان نه اى
خودمران چون مردكشتيبان نه اى
چون نه اى كامل دكان تنها مگير
دستخوش مى باش تاگردى خمير[٥٤]
چونكه در تو مى شود لقمه گهر
تن مزن چندانكه بتوانى بخور
چونكه در معده شود پاكت پليد
قفل نه بر حلق و پنهان كن كليد
هر كه در وى لقمه شد نور جلال
هرچه خواهد گوبخور، او را حلال[٥٥]

ويبدو أنّ المولوي يتجاوز الغزالي تجاوزاً كبيراً، ورغم أنه يحذر الضعيف ألّا يظن نفسه كالقوي وألّا يقتدي به في مساهلاته مغروراً، ولايعاند القادة وألّا يقارن بين عمل الأذكياء وعمله، فإن مايستشم من أشعاره أنه يحلل للشيخ الكامل نوعاً من الإباحية، ويرتضى منه كل مايفعل ويترك، ولايبيح الظّنّ به ومهاجمته. اما الغزالي فيرى أنّ على المريد والمراد مراعاة الفرائض في جميع الأحوال والمقامات، ولايبيح له بحال من الأحوال بيع الفقه للتصوف رخيصاً، والإفتاء بإسقاط الفرائض، ومع ذلك فإنّ أشخاصاً كابن الجوزي اتهموا الغزالي أحياناً بهذا البيع الرخيص.

(٢)

للغزالي:

«فالعلم كالسّيف وصلاحه للخير كصلاح السّيف للغزو. ولذلك لايرخص له في البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنّه يريد به الاستعانة على قطع الطريق...»[٥٦].

وأيضاً:

«ويقرّب من تقرّب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام، تقرّب العلماء السوء بتعليم العلم للسّفهاء والأشرار المشغولين بالفسق والفجور... وليت شعري ماجوابه عمن وهب سيفاً من قاطع طريق وأعدّ له خيلاً وأسباباً يستعين بها على مقصوده ويقول إنّما اردتُ البذل والسخاء...، والعلم سلاحٌ يقاتل به الشيطان وأعداء الله تعالى وقد يعاوَنُ به أعداء الله عزّ وجلّ وهو الهوى»[٥٧].

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

للمولوي:

واستـــان از دست ديوانـــه سلاح
تازتو راضی شود عدل و صلاح
چـون سلاحش هست وعـقلش نی، ببنـد
دســت او را، ورنــه آرد صـد گزنـد
بدگهـر را علم و فـن آمـوخـتن
دادن تيغ است دسـت راهـزن
تيـغ دادن در كف زنـگـی مست
به كه آيد علم ناكس را به دست
علم و مال و منـصـب و جاه و قـران
فتـنـه آرد در كف بدگوهـران[۵۸]

للغزالي:

«... وهذه حقائق ظاهرة للنّاظر بنور البصيرة، ثقيلة على من يستر وجْهُ السّماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبّط في مثل هذه الآيات... ويعتقد فيها التّهافت. ومثاله مثال الأعمى الذي يدخل داراً فيعثر فيها بالأواني المصفوفة في الدّار فيقول مالهذه الأواني لاتُرفَع من الطّريق وترد إلى مواضعها؟ فيقال له إنها في مواضعها وإنّما الخلل في بصرك...»[۵۹].

للمولوي:

ما ندانـسـتـيم ما را عفـو كـن
بس پراكـنـده كه رفـت از ما سـخـن
ما كه كـورانـه عصاهـا می زنـيم
لاجـرم قنـديلـهـا را بشـكـنـيم
ما چو كـرّان ناشنـيده يك خطاب
هر زه گـويان از قياس خـود جواب
ما زمـوسی پند نگـرفـتـيم كو
گشت از انـكـار خضـری زرد رو[۶۰]

(۵)

للغزالي:

«بـل أربـاب القلوب والمشاهدات قد أنطق اللّه تعالى في حقّهم كلّ ذرّة في السموات والأرض بقدرته الّتي نطق كلّ شيءٍ حتى سمعوا تقديسها وتسبيحها لِلّه تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسانٍ ذلق تتكلم بلا حرف ولا صوت لايسمعه الذين هم عن السّمع لمعزولون، ولست أعني به السمع الظاهر الذي لايجاوز بالأصوات، فإنّ الحمار شريك فيه، ولا قدر لما يشارك فيه البهائم، وإنّما أُريد به سمعاً يُدرك به كلامٌ ليس بحرف ولاصوت ولا هو عربي ولا عجمي...»[۶۱].

وأيضاً:

«وما من ذرّة في السموات والأرض إلّا ولها أنواع شاهدات لِلّه تعالى بالوحدانية هي توحيدها، وأنواع شاهدات لصانعها بالتقدّس هي تسبيحها ولكن لايفقهون تسبيحها لأنّهم لم يسافروا من مضيق سمع الظاهر إلى فضاء سمع الباطن ومن ركاكة لسان القال إلى فصاحة لسان الحال...»[۶۲].

وأيضاً:

«الخامس أن يعبّر بلسان المقال عن لسان الحال... ومن هذا قوله تعالى وإنّ من شيءٍ إلّا يسبّح بحمده، فالبليد يفتقر فيه إلى أن يقدّر للجمادات حياةً وعقلاً ونطقاً بصوتٍ وحرفٍ حتى يقول سبحان اللّه ليتحقق تسبيحه، والبصير يعلم أنّه ما أريد به نطقُ اللسان بل كونه مسبّحاً بوجوده ومقدّساً بذاته وشاهداً بوحدانية اللّه سبحانه... كما يقالُ هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لابمعنى إنّها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال...»[۶۳].

لقـد كان نقـد مولوي لمثل هذه التأويلات وتعريضه بها قاسياً وصـريحاً ومؤذياً، فهل يمكن القول إنّه كان يقصد به الغزالي مباشرة؟:

ما سـمـيعيم و بصـيريم و خوشـيم
با شـمـا نامحـرمان ما خامشـيم
چـون شـما سـوی جَمـادی می رويـد
محـرم جـان جمـادان چـون شـويد؟
از جمـادی عـالم جانهـا رويـد
غلغـل اجزای عـالم بشـنويد
فاش تسبـيح جمـادات آيـدت
وسوسهٔ تأويلـهـا نربـايـدت
چـون ندارد جـان تـو قنـديلـهـا
بهـر بينش كـرده ای تأويلـهـا
كـه غَـرَض تسبـيح ظاهـر كی بـود
دعـوی ديدن خيـالِ غیّ بـود
بل كـه هر بينـنـده را ديـدار آن
وقـت عبرت می كند تسبـيح خـوان
پس چو از تسبـيح يادت می دهـد
آن دلالـت همچـو گفـتـن می بـود
ايـن بـود تأويل اهـل اعـتزال
و آن آن كس كونـدارد نور حـال

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

چـون زحسّ بيـرون نيـامـد آدمـى
باشـد از تصـوير غيبـى اعـجـمـى[٦٤]

(٦)

للغزالي:

«...وأمّا الحركة فخلقٌ للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فإنّها خلقت مقدورة بقدرة هي وصفه وكانت للحركة نسبةٌ إلى صفةٍ أخرى تسمّى قدرة فتسمّى باعتبار تلك النسبة كسباً وكيف يكـون جبراً محضـاً وهـو الضّرورة يُدرك التفرقةَ بين الحركة المقدورة والرّعدة الضرورية»[٦٥].

للمولوي:

كردِ حقّ وكـردِ ما هر دو بيـيـن
كردِ ما را هسـت دان، پيداسـت اين
گر نبـاشـد فعـل خلق انـدرمـيـان
پس مگـو كس را چرا كردى چنـان
يك مثـال اى دل پى فـرقـى بيار
تا بدانـى جبر را از اخـتـيـار
دسـت كان لرزان بود از ارتـعـاش
وان كه دسـتـى را تو لرزانـى زجـاش
هردو جنـبش آفـريـدهٔ حق شنـاس
ليك نتـوان كرد اين با آن قيـاس
زان پشـيمانـى كه لرزانـيـديَش
مرتـعش را كى پشـيمان ديديش؟[٦٦]

(٧)

للغزالي:

«...ولاتنكشف عظمة اللّه سبحانه وجلاله إلّا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله. فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبّة. والذّكر أيضاً يورث الأنس وهو نوع من المحبّة ولكن المحبّة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم...»[٦٧].

وأيضاً:

«فـإن أُحبّ العـارف ذاته، ووجود ذاته مستفادٌ من غيره، فبالضرورة يحبّ المفيدوالمُديم له إن عرفه خالقاً موجداً ومخترعاً مبقياً وقيّومـاً بنفسـه ومقوّماً لغيره فإن كان لايحبّه فهو لجهله بنفسـه وبـربّه والمحبّة ثمرة المعرفة، فتنعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوّتها...»[٦٨].

وأيضاً:

«.. وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جليّة الحقّ ويتزيّن بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة، ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبّة بالضرورة...»[٦٩].

للمولوي:

از محـبّـت تلخهـا شـيرين شـود
از محـبّـت مسّـهـا زرّيـن شـود
از محـبّـت دُردهـا صـافى شـود
از محـبّـت دَردهـا شـافى شـود
از محـبّـت مـرده زنـده مى كنـد
از محـبّـت شـاه بنـده مى كنـد
اين محـبّـت هـم نتـيجهٔ دانش است
كى گزافه بر چنـيـن تخـتـى نشـسـت
دانش ناقص كجـا اين عشق زاد؟
عشـق زايد ناقص، امـا بر جمـاد[٧٠]

(٨)

«ومن يسافر ليستقرئ هذه الشهادات من الأسطر المكتوبة بالخطوط الالهيّة على صفحات الجماذات لم يَطُل سفره بالبدن، بل يستقرّ في موضع ويفـرغ قلبـه للتمتّع بسـماع نغمات التسبيحات من آحاد الذرّات، فما له وللتّردد في الفلوات وله غنيةٌ في ملكوت السّموات؟ فالشمس والقمر والنجوم بأمره مسخَرات وهي إلى ابصـار ذوي البصائر مسافرات... فمن الغرائب أن يدأب في الطّواف بآحاد المساجد من أُمرت الكعبةُ أن تطوف به، ومن الغرائب أن يطوف في أكناف الأرض من يطوف به أقطار السّماء»[٧١].

للمولوي:

مارگيـر از بهـر حيـرانـىّ خلق
مارگيـرد، ايـنـت نادانـىّ خلق
آدمـى كوهـى ست، چون مفـتـون شود؟
كوه انـدر مار حيـران چـون شود؟
خويشـتـن نشـنـاخـت مسكـين آدمـى
از فزونـى آمـد و شـد در كمـى
خويشـتـن را آدمـى ارزان فروخـت
بـود اطـلس، خويش بر دلـقـى بدوخـت
صـد هزاران مار و كُه حيران اوسـت
او چرا حيران شدسـت و ماردوسـت؟[٧٢]

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

(٩)

للغزالي:

«... فإذن في الخلوة أنس بذكر اللّه.. ولـذلك قال بعض الحكـماء: إنّـما يستوحش الانسـان من نفسـه لخلوّ ذاته عن الفضيلة، فيُكثر حينئذٍ ملاقاةَ النّاس ويُطرد الوحشةَ عن نفسه بالكون معهم فإذا كانت ذاته فاضلة طلب الوحدة ليستعين بها على الفكرة ويستخرج العلم والحكمة وقد قيل الاستئناس من علامات الافلاس...»[٧٣].

وأيضاً:

«ويدّعـي الانسُ باللّه فمتـى طابَت له الخلوة؟ ومتى استوحش من مشاهدة الخلق؟ لا بَل يرى قلبه يمتلئ بالحلاوة إذا أحدق به المريدون وتراه يستوحش إذا خلا باللّه تعالى، فهل رأيت مُحبّا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره؟...»[٧٤].

للمولوي:

ای تو در پیکـار خـود را باخـته
دیگـران را تو زخـود نشنـاخـتـه
تو به هـر صـورت که آیی بیستـی
که منـم این واللّه آن تو نیسـتـی
یك زمـان تنهـا بمانـی تو زخـلـق
در غـم و انـدیشـه مانـی تا به حلـق
این توکـی باشـی که تو آن اوحـدی
که خـوش و زیبـا و سرمـسـت خودی
مرغ خویشـی صید خویشـی دام خویش
صدر خویشـی فرش خویشی بام خویش[٧٥]

(١٠)

للغزالي:

«وكلّ من لم يجد لذّة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذّة النظر في الآخرة، إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرةمالم يصحبه من الدّنيا ولايحصـد أحدٌ إلاّ مازرع ولايُحشَر المرء إلاّ على مامات عليه ولايموت إلاّ على ماعاش عليه...»[٧٦].

وأيضاً:

«... وجميع ما ألفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موتـه..... ويكون طول المواظبة على الخير وتخليه الفكر عن الشرّ عدّة وذخيرة لحالة سكرات الموت، فإنّه يموت المرء على ما عاش عليه ويُحشَر على مامات عليه..»[٧٧].

للمولوي:

الحـذر ای مرگ بینـان بارِعُـوا
الـعَـجَـل ای حشـر بینـان سـارِعُـوا
هر که یوسـف دید، جان کردش فـدا
هر که گرگش دید برگشـت از هُدَی
مرگ هر یك ای پسـر همرنـگ اوسـت
پیش دشـمـن دشـمـن و بر دوسـت دوسـت
پیش ترك آیینـه را خوش رنـگـی است
پیشِ زنـگـی آینـه هـم زنـگـی است
آنـکـه می ترسـی زمـرگ انـدر فـرار
آن زخـود ترسـانـی، ای جان هوشـدار!
روی زشـت توسـت نه رخـسـارِ مرگ
جان تو همچـون درخـت و مرگ، برگ
از تو رُسـتـه است ارنکـوی است اربـدست
ناخـوش وخـوش، هر ضمیرت از خودست
گر به خاری خسـتـه ای خود کِشـتـه ای
ورحـریر و قز دَرئ، خود رِشـتـه ای[٧٨]

(١١)

للغزالي:

«وفي التوصّل إلى الولد قربةٌ من أربعة أوجه... أمّا الوجه الأول فهو أدقُّ الوجوه وأبعدها عن افهام الجماهير... وبيانه أنّ السّيّد إذا سلّم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيّأ له أرضاً مُهيّأة للحـراثه وكان العبدُ قادراً على الحراثه ووكّل به من يتقاضاه عليها فإن تكاسل وعطّل آلة الحرث... كان مستحقاً للمقت... فهذه الأفعال والآلات تشهد بلسان ذلق في الإعراب عن مراد خالقها..»[٧٩].

للمولوي:

پای داری چون کنـی خود را تو لنـگ؟
دست داری، چون کنی پنهـان تو چنـگ؟
خواجـه چون بیلی به دسـت بنـده داد
بی زبـان معـلـوم شد اورا مـراد
دسـت همچـون بیل اشـارتهـای اوسـت
آخـر انـدیشـی عبـارتهـای اوسـت
چون اشـارتهـاش را برجـان نهـی
در وفـای آن اشـارت جان دهـی[٨٠]

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

(١٢)

للغزالي:

«والعلوم العقلية تنقسم إلى دنيويّة وأخروية. فالدنيويّة كعلم الطبّ والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحِرفَ والصّناعات، والأُخروية، كعلم أحوال القلب وآفات الأعمال والعلم باللّه تعالى وبصفاته وأفعاله.. وهما علمان متنافيان أعني أنّ من صرف عنايته إلى أحدهما حتى تعمّق فيه قصرت بصيرتُه عن الآخر على أكثر... ولذلك قال صلّى اللّه عليه وسلّم إنّ أكثر أهل الجنّة البُله أي البله في أمور الدنيا»[٨١].

وأيضاً:

«... وإنّما العلم الحقيقيّ مايَعرف به العبدُ رَبّه ونفسَه وخَطَر أمره في لقاء اللّه والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكِبر والأمن.. فامّا ماوراء ذلك كعلم الطبّ والحساب واللّغة والشّعر والنّحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات، فاذا تجرّد الانسانُ لها حتى امتلأ منها، امتلأ بها كبراً ونفاقاً، وهذه بأن تُسمّى صناعات أولى من أن تُسمّى علوماً، بل العلمُ هو معرفة العبودية والربوبيّة وطريقُ العبادة وهذه تورث التواضعَ غالباً»[٨٢].

وأيضاً:

«... ولكنّ الأكياس وأهل الحزم يغترّوا بهذه وقالوا لو نجا أهل الأرض وهلكنا لم تنفعنا نجاتُهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرّنا هلاكهم،... ثمّ نرى أنّ المبتدع ليس يترك بدعته بجداله بل يزيده التعصّب والخصومة تشدّداً في بدعته فاشتغالي بمخاصمة نفسي ومجادلتها ومجاهدتها لتترك الدنيا للآخرة أولى..»[٨٣].

لقد تبنّى المولوي أفكار الغزالي العلمية بصورة عامة (والتي تتضمّن تقديم معرفة النفس على معرفة العالم، والاهتمام بحسن العاقبة والمآل، وعدم بيع العلم للدنيا، وعدم الغوص في المجالات الفقهية والكلامية التي لاطائل تحتها والتحسّر على النفس) وعَكَسها بصورة متفرقة في الأبيات التالية:

جامه هاى زركشى را بافتن
درّها از قعر دريا يافتن

خُرده كاريهاى علم هندسه
يانجوم و علم طبّ و فلسفه

كه تعلّق با همين دنيى ستش
ره به هفتم آسمان برنيستش

اين همه علم بناى آخورست
كه عمادِ بودِ گاو و اشترست

بهرِ استبقاى حيوان چند روز
نام آن كردند اين گيجان رموز

علم راه حق و علم منزلش
صاحب دل داند آن را يا دلش[٨٤]

ولايخفى تعريض المولوي في الأبيات التالية بالفلاسفة والفقهاء والمنجّمين:

از پى اين عاقلان ذوفنون
گفت ايزد درنبى: لايعلمون

هر يكى ترسان زدزدى كسى،
خويشتن را علم پندارد بسى

گويد او كه روزگارم مى برند
خود ندارد روزگار سودمند

گويد از كارم برآوردند خلق
غرق بيكاريست جانش تا به حلق

صد هزاران فصل داند از علوم
جان خود را مى ندانند آن ظَلوم

داند او خاصيّت هر جوهرى
در بيان جوهر خود چون خرى

كه همى دانم يَجوز و لايَجوز
خود ندانى تو يَجوزى يا عَجوز

اين روا وان ناروا دانى وليك
تو روا يانارواىِ بين تو نيك

قيمت هر كاله مى دانى كه چيست
قيمت خود را ندانى احمقيست

سعدها و نحسها دانسته اى
ننگرى سعدى تو يا ناشسته اى

جان جمله علمها اين است اين
كه بدانى من كيم در يومِ دين[٨٥]

عقده را بگشاده گير اى منتهى
عقده سخت است بركيسه تهى

درگشاد عقده ها گشتى تو پير
عقدهٔ چند دگر بگشاده گير

عقده اى كان بر گلوى ماست سخت
كه ندانى كه خسى يا نيك بخت

حلّ اين اشكال كن گر آدمى
خرج اين دم كن اگر صاحب دمى

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

حدّ اعـيـان و عـرض دانـسـتـه گير
حدّ خـود را دان كزان نبـود گزيـر[٨٦]

وكأنّ المولوي حفظ أثناء نظم هذه الأبيات نصيحة الغزالي «المجانية» وعبّر عنها:

«والمستغرق عمره في دقايق الكلمات التي تجري في مجادلات الفقـه كالمستغرق عمره في دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط التي تخرزها الرّاوية للحجّ، ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق إصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحـجّ أو ملابسي أركـانه. فتأمّل هذا أوّلاً وأقبل النّصيحة مجّاناً ممّن قام عليه ذلك غالباً ولم يصل إليه الاّ بعد جهد جهيد وجرأة تامّةٍ على مباينة الخلق العامّة والخاصة في النزوع من تقليدهم بمجرّد الشهوة»[٨٧].

ويتّفق المـولـوي كذلـك مع الغـزالي في ذم الفـلاسفـة والمتكلمـين، وطـريقتهم المشكلة التي تبعث الاضـطراب في النفس، وتعلّم منـه جيّداً ـ وهو الذي وصل إلى أعلى درجة المتكلّمين ـ أنّ هذه الصناعات ليست في حال من الأحوال طرق كسب الحقيقـة واليقـين، ومنتهى عملها أنّها تزيد الـوسـائط وتقصي الطريق، وتزيد من كدورة باطن المتكلم وغـروره، حتى إنّ عدم فصـل علم الكـلام عن الفلسفـة، واستعمال هذين الاصطلاحين مترادفين، يظهر بوضوح مدى تأثر المولوي بالغزالي في هذه المسألة المهمة، ويذكر الغزالي في كتـاب **احياء علوم الـدين**، العلوم التي تعلُّمها فرض عيني وواجب كفـائي على المسلمـين، والعلوم المحمودة والمذمومة، ويشرحها، ثم يبين الدليل على فرضها، وحسنها وقبحها، لكنه لايذكر خلال ذلك علم الكلام والفلسفة، ثم يتساءل على لسان القارىء عن السبب الذي دعاه إلى عدم ذكر هذين العلمين بين العلوم، ويجيب: «إنّ حاصل مايشتمل عليه علم الكلام من الأدلـة التي ينتفـع بها، فالقـرآن والـروايات المشتملة عليه، ومـاخـرج عنهـا فهي من المجـادلات والمشـاغبات والبدع والترهات والهذيانات التي تزدريها **الطباع وتمجها الأسماع**، وأمّا الفلسفة فليست علماً برأسها بل هي أربعة اجزاء: الحساب والهنـدسـة، والمنـطق، والإلهيات، والـطبيعيات، امّا الحساب والهندسة مباحان، وجاء ذكرها بصورة مستقلة، والمنطق أيضاً هو جزء من علم الكلام، والإلهيات هو بحث عن ذات اللّه، سبحـانـه وتعـالى، وصفـاتـه، وهـو داخـل في الكلام أيضاً، والطبيعيات أيضاً بعضها مخالف للشرع والدين والحق، فهو جهل وليس علماً حتى نذكره في أقسام العلوم، وبعضها لايحتاج إليه[٨٨].

وبنـاء على هذا، فأينـما يذكـر الغزالي علم الكلام ويذم المتكلمين ويقدح بهم، يطعن في الفلاسفة بنفس القدر؛ ثمّ إنّه يفضّـل البُلْه مقابل تلك التعقيدات والمهارات الفلسفية التي لاتنتهي إلاّ إلى الشيطنـة والتطاول والسخرية والابتعاد عن الحق وهتك الحرمات. ولايعتبر العلم الذي يؤدي الى التضليل والتخبط أكثـر من الكشف عن الحقـائق وايضـاحها، نافعاً وضرورياً إلاّ في حالات خاصة، وذلك باستعماله كسلاح لردع الأعداء فقط، ويحقر دوما تعمق المتكلمين الذي يبدو علمياً في الظاهر، ويستخف به، وتبدو لهجة الغزالي في هذه الحالات هادئة نصوحة عطوفة يطمئن القارئ فيها إلى أنّ إنكاره هذا لاينبعث عن عداوة أو جهل، بل ينبع من تعمق الخبير، كما أنّ كلمات المـولـوي تبـدو أيضاً مشحونة بهذا الردّ والاستخفاف وتلك الطُّمْأنَة والهدوء، وبالاضافة إلى ذلك كلّه يؤيّد تفسير الغزالي للحديث النبوي الذي يعتبر البلاهة فيه بمعنى نفي التفلسف.

يقول الغزالي:

«... فقد يظن أنّ فائدته (الكلام) كشف الحقايق ومعرفتها على ماهي عليه وهيهـات فليس في الكـلام وفاء بهذا المطلب الشـريف ولعـلّ التخبيط والتضليل فيه أكثـر من الكشف والتعـريف، وهذا إذا سمعته من محدّثٍ أو حشويّ ربّما خطر ببالك أنّ الناس أعداء ماجهلوا فاسمع هذا ممّن خبر الكلام ثم قلاه بعـد حقيقـة الخـبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلّمين وجاوز ذلك إلى التعمّق في علوم أخر تناسب نوع الكـلام وتحقّقَ أنّ الطريق إلى حقايق المعرفة مِن هذا الوجه مسـدودٌ. ولَعمري لاينفكّ الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الأمور ولكن على النّدور في أمور جليّة تكاد تفهم قبل التعمّق في صنعة الكلام...»[٨٩].

ويقول أيضاً:

«... رُبّما ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلاً... والزّهد والصّلاح لايكفي لدفع هذا الخطر بل لاينجي منه الاّ الاعتقاد الحقّ، والبُلْهُ بمعزل عن هذا الخطر، أعني الّذين امنوا باللّه ورسوله واليوم الآخر ايماناً مجملاً راسخاً كالأعراب والسّوادية وسائر العوامّ الذين لم يخوضوا في البحث والنّظر ولم

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

يشرعوا في الكلام استقلالاً ولاصغو إلى أصناف المتكلّمين في تقليد أقاويلهم المختلفة، ولذلك قال صلّى اللّه عليه وسلّم: أكثر أهل الجنّة البله... فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصّالحة ولايتعرّضوا لما هو خارج عن حدّ طاقتهم ولكنّ الآن قد استرخى العِنان وفَشا الهذيان ونزل كل جاهل على ماوافق طبعه بظنّ وحُسبان.... إلّا إذا جاوز حدود المعقول إلى نور المكاشفة الذي هو مشرق في عالم الولاية والنبوّة، وذلك هُو الكبريتُ الأحمر وَأنىّ يتسَّر، وإنّما يسلم عن هذا الخطر البُله من العوامّ أو الذين شغلهم خوف النار بطاعة اللّه فلم يخوضوا في هذا الفضول...»[٩٠].

ويقول المولوي:

جز به مصنوعی ندیدی صانعی
بر قیاس اقترانی قانعی
می فزاید در وسایط فلسفی
از دلایل، باز برعکسش صفی
این گریزد از دلیل و از حجیب
از پی مدلول سربرده به جیب
گر دُخان اورا دلیل آتش است
بی دُخان ما را دراین آتش خوش است
خاصه این آتش که درقرب و ولا
از دُخان نزدیکتر آمد به ما[٩١]
آنچه حق است اقرب از حبل الورید
تو فکندی تیر فکرت را بعید
ای کمان و تیرها برساخته
صید نزدیك و تو دور انداخته
فلسفی خود را زاندیشه بکشت
گو بدو کو را سوی گنج است پشت
گو بدو چندانکه افزون می دود
از مراد دل جداتر می شود
جاهدوا فینا بگفت آن شهریار
جاهدوا عنّا نگفت ای بیقرار
نی چو کنعان کو زکبر و ناشناخت
از کُهِ عاصم سفینهٔ فوز ساخت
علم تیراندازیش آمد حجیب
و آن مراد او بُده حاضر به جیب
ای بسا علم و ذکاوات و فطن
گشته رهزورا چو غول و راهزن
بیشتر اصحاب جنّت ابلهند
تا زشرّ فیلسوفی می رهند
خویش را عریان کن از جمله فضول
ترك خود کن تا کند رحمت نزول
زیرکان با صنعتی قانع شدند
ابلهان از صنع در صانع شدند[٩٢]
خود هنر آن دان که دیدآتش عیان
نی گپ «دَلَّ علی النّار الدّخان»
ای دلیلت گنده تر نزد لبیب
در حقیقت از دلیل آن طبیب
چون دلیلت نیست جز این ای پسر
ژاژ می خا، درکمیزی می نگر[٩٣]
داند آنکو نیکبخت و محرم است
زیرکی زابلیس و عشق از آدم است
زیرکی بفروش و حیرانی بخر
زیرکی ظنّ است و حیرانی بصر
عقل قربان کن به پیش مصطفی
حسبی اللّه گو که اللّه کفی
همچو کنعان پا زکشتی وامکش
که غرورش داد نفس زیرکش
که برآیم بر سرکوه مشید
منّت نوحم چرا باید کشید؟
کاشکی او آشنا ناموختی
تا طمع درنوح و کشتی دوختی
کاش چون طفل از حیل جاهل بُدی
تاچو طفلان چنگ در مادرزدی
یا به علم نقل کم بودی مَلی
علم وحیِ دل ربودی از ولی
خویش ابله کن تبع میرو سپس
رَستگی زین ابلهی یابیّ وبس
اکثر اهل الجنّةِ البله ای پدر
بهر این گفته است سلطانُ البشر[٩٤]
صد هزاران اهل تقلید و نشان
افکَندشان نیم وهمی درگمان
شبهه می انگیزد آن شیطان دون
درفتند این جمله کوران سرنگون
پای استدلالیان چوبین بود
پای چوبین سخت بی تمکین بود

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

این عصـا چه بود؟ قیاسات و دلـیـل
آن عصـا که دادشـان بینـا جلیـل
او عصـاتـان داد تا پیش آمـدیـد
وان عصـا از خشـم هم بروی زدیـد
چون عصـا شد آلـت جنـگ و نفـیـر
آن عصـا را خرد بشـکـن ای ضریر[۹۵]

ثمّ إنّ طريقة تعلّم الصوفية التي هي العمل على تصفية مرآة الباطن وجلائها والطلب والعطش الدائمين لكشف الحجاب وشـرب شراب المعـرفـة، واجتنـاب المنـاقشـات والأقاويل المـدرسية، وردت واضحـة في عبارات الغزالي التالية وأشعار المولوي التي كأنها ترجمة لتلك العبارات:

«... فاعلم أنّ ميل أهل التَصوَف إلى العلوم الالهاميّة دون التعليميّة. فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ماصنفه المصنفـون والبحث عن الاقـاويل والادلّة المذكورة، بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصّفات المذمومة وقطع العلائق كلّها والاقبال بكنه الهمّة على اللّه تعالى، ومهما حصل ذلك كان اللّه هو المتولّى لقلب عبده والمتكفّل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولّى اللّه أمرَ القلب فاضَت عليه الرّحمةُ وأشرق النّور في القلب وانشـرح الصّـدر وانكشف له سرّ الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرّة بلطف الرّحمة وتلألأت فيه حقائقُ الأمور الالهيّة، فليس على العبـد الاّ الاستعـداد بالتّصفية المجـرّدة وإحضار الهمّة مع الارادة الصّادقة والتّعطّش التّامّ والترصّد بدوام الانتـظار لما يفتحـه اللّه تعالى من الرّحمة. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمـر وفاض على صدورهم لا بالتعلّم والدّراسة والكتابة للكتب، بل بالزّهد في الدنيا والتبرىء من علائقها... وقـد رجـع هذا الطريق إلى تطهير محض من جانبك وتصفية وجلاء ثمّ استعداد وانتظار فقط.»[۹۶].

دفـتر صـوفی سواد و حرف نیسـت
جز دل اسـپـید همچـون برف نیسـت
زاد دانـشـمـنـد آثـار قـلم
زاد صـوفی چیسـت؟ انـوار قـدم[۹۷]
آب کم جـو تشـنـگـی آور به دسـت
تابـجـوشـد آبـت از بالا و پسـت
تاسَـقـاهُـم ربّـهـم آیـد خـطاب
تشـنـه باش، الـلّه اعـلم بالـصـواب[۹۸]
همچـو آهـن زآهـنـی بی رنـگ شـو
در ریاضـت آینـهٔ بی زنـگ شـو
خویش را صـافی کن از اوصـاف خود
تابـبـینـی ذات پاك صـاف خود
بینـی انـدر دل علـوم انـبـیـا
بی کتـاب و بی معـیـد و اوسـتـا
بی صحـیحـیـن و أحـادیث و رُوات
بلکـه انـدر مشـرب آب حیـات
ور مثـالی خـواهـی از علم نـهـان
قصـه گو از رومـیان و چینـیـان[۹۹]

ويذكـر الغـزالي بعد تلك العبارات التي أوردناها مثالين ليجعل الفرق بين هذين العلمين قابلاً للفهم من خلال التشبيه بالمحسوسات، وكان مثاله الثاني: قصة المنافسة الشهيرة بين الصينيين والـرومان في الرسم، والتي يذكرها المولوي حرفياً عقب الأبيات السـابقـة مع اختـلاف واحدٍ هو أن المولوي يختمهـا بفـوز الرومان (بدل الصينيين عند الغزالي) ويعتبر الصوفية كالرومان:

رومـیان آن صـوفـیان انـد، ای پسـر
نی زتـکـرار و کتـاب و نی هنـر
لیك صـیقـل کـرده انـد آن سـینـه ها
پاك زآز و حرص وبـخـل و کینـه ها
نقش و قشـر علم را بگـذاشـتـنـد
رایت علم الـیقین افـراشـتـنـد

أمّا مثال الغزالي الأول فهو الحوض الذي يمكن امتلاؤه عن طريقين: صبّ الأنهار فيه من الخارج، أو حضر أسفل الحوض، وانفجار الماء من الداخل:

«إنّه لو فرضنا حوضاً محفوراً في الأرض، احتمل أن يُساقَ الماء من فوقه بأنهار تُفتح فيه ويحتمل أن يُحفر أسفلُ الحوضّ ويُرفع منه التّراب إلى ان يقرب من مستقرّ الماء الصّافي فينفجر الماء من أسفل الحوض ويكون ذلك الماء أصفى وأدوم وقد يكون أغزر وأكثر، فذلك القلب مثل الحوض والعلم مثل الماء تكون الحواسّ الخمس مثل الأنهار، وقد يمكن أن تُساق العلوم إلى القلـب بواسـطة أنهار الحـواسّ والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلىء علماً، ويمكن أن تُسدّ هذه الأنهار بالخلوة والعزلة وغضّ البصر ويُعمد إلى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب منه حتى تنفجر ينابيعُ العلم من داخله»[۱۰۰].

وقد استفاد المولوي من هذا المثال أيضاً وأورده في مواضع أخرى من المثنوي:

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

حبّذا كاريز اصل چيزها
فارغت آرد ازين كاريزها
تو زصد ينبوع شربت مى كشى
هرچه زان صد كم شود كاهد خوشى
چون بجوشد از درون چشمه سنىّ
زاستراق چشمه ها گردى غنىّ
چشمهٔ آبى درون خانه اى
به زرودى كان نه دركاشانه اى
قلعه را چون آب آيد از برون
در زمان امن باشد در فزون
چونكه دشمن گرد آن حلقه كند
تاكه اندر خونشان غرقه كند
آب بيرون را ببندد آن سياه
تا نباشد قلعه را زآنها پناه
آن زمان يك چاه شورى از درون
به زصد جيحون شيرين از برون[١٠١]
چون زسينه آب دانش جوش كرد
نى شود گنده نه ديرينه نه زرد
وزره نبعش بود بسته چه غم؟
كو همى جوشد زخانه دمبدم
عقل تحصيلى مثال جويها
كان رود درخانه اى از كويها
راه آبش بسته شد شد بينوا
تشنه ماند و زار و باصد ابتلا
از درون خويشتن جو چشمه را
تا رهى از منّت هر ناسزا[١٠٢]

(١٣)

يظهر الغزالي دقّته وبصيرته وإلمامه بمعرفة المجتمع عندما يفسّر سلوك الناس ودوران عجلة الحياة، وتقسيم الأشغال الاجتماعية، وظهور الأعمال والحرف وأنواع الصناعات. فقد وصف الدنيا والحياة البشرية في بعض أقسام كتاب إحياء علوم الدين، وكان وصفه أفضل مايكون في كتاب ذم الدنيا (الكتاب السادس من ربع المهلكات) وبين الأسس التي تقوم عليها الحياة والعلاقات بين الناس، ولماذا تكون المجتمعات على الصورة التي هي عليها الآن، وما هو سرّ ظهور هذا التنوع الملحوظ في فنون الناس وأعمالهم، ولماذا ظهرت المدينة والقرية وسبب اختلافها، وأيّ قدرة أدّت إلى تكامل المجتمعات التدريجي هذا، وما الذي يشغل الناس في الوقت الحاضر ويسخّرهم، وماذا يجب أن يعمل الأذكياء في دنيا كهذه، ومجتمع وتاريخ كهذين، وكيف يستفيدون منها. إن هذا التحليل لمعرفة المجتمع يبين وجهة نظر الغزالي السياسية وموقفه السياسي ويفسرها، وسنلاحظ أنّ المولوي يتبنّى نفس قول الغزالي ويتبعه فيه في إحدى النقاط المهمة.

يعتقد الغزالي أنّ حاجات الانسان الأصلية ثلاث: الطعام والسكن والملبس، وليست هذه الحاجات جاهزة في متناول يده، ولذلك حدثت في البداية خمس صناعات هي أصول الصناعات: الفلاحة والرعاية والاقتناص (للحيوانات والمعادن والنباتات..) والبناء والحياكة، ثم الآلات التي يحتاجها أصحاب هذه الصناعات أدت إلى ظهور وحدوث صناعات أخرى هي: النجارة والحدادة والخرازة (كل عمل في جلود الحيوانات وأعضائها).

ومن ناحية أخرى، فإنّ الانسان مضطر إلى الحياة الاجتماعية لسببين: الأول الحاجة إلى بقاء الجنس، والثاني الحاجة إلى التعاون والتناصر. إنّ اجتماع منازل هؤلاء داخل سور آمن ليحفظها من اللّصوص وألم البرد والحر أحدث البلاد، وأنّ الحياة الاجتماعية بطبيعتها تؤدي إلى الخصومات والمنازعات، مهما كان هذا الاجتماع في المنازل أو في الأسواق أو في المزارع أو في المراعي، وهذه الخصومات تكون من أجل الحقوق أو بضاعة أو قطعة أرض أو سهم ماء، لأن الحرص والتكاثر يجعل كل واحد من الناس لايرضى بحظه فيتجه كل واحد إلى توسيع ملكه. ثم يظهر العميان وكبار السن والمرضى الذين يعجزون عن العمل، ويجب أن يكون من يتولاهم حتى لايهلكوا، ولو وكلت ولايتهم إلى الجميع لتخاذلوا، ولو خص بعضهم، لكان لايذعن له؛ فحدث بالضرورة من هذه العوارض الحاصلة بالاجتماع صناعات أخرى، فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الأرض لتمكن القسمة بينهم بالعدل؛ ومنها صناعة الجنديّة لردع الأعداء واللّصوص، ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة، ومنها الحاجة إلى الفقه، لكن الذين يشتغلون بهذه الصناعات لايستطيعون تأمين معاشهم من طرق أخرى فتحدث الحاجة إلى الخراج،

[2020]

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

ثم يتولد بسبب الحاجة إلى الخراج وإلى من يجمعها ويقسمها أشغال أخرى. ثم إنّ هذه الأمور لايمكن أن تجري منسقة وتلقائياً، فتحدث الحاجة إلى أمير يتولّى أمرها ويراعي النصفة في أخذ الخراج وإعطائه، ويصدر أوامر الحرب ويسلح الجند، ويعين الأمراء والقادة، فيحدث من ذلك الحاجة إلى الخزان والكتاب والحساب والعمال والجباة، وهكذا يتفرع من كل شغل عشرات الأشغال، والأمر لاينتهي إلى هذا الحد، لأن كل فرد لاينتج كل مايحتاج إليه، فتحدث الحاجة إلى بضائع الآخرين، ومنها تحدث الأسواق والحوانيت والنقود والتجارة، ثم تحدث الإجارة وبحدث البيع، وتولد معها المدينة مقابل القرية، ثم وجود النقود يؤدي إلى دار الضرب والصيارفة وهلم جرا. وفي الناس من يغفل عن الاحتراف في الصبا فلا يشتغل به أو يمنعه مانع فيبقى عاجزاً، فيحدث منه حرفتان خسيستان: الكدية واللّصوصية، أمّا أهل الكدية فيتكدون بأساليب عديدة: إمّا بالتظاهر بالفلج والجنون والمرض، أو يلتجئون إلى الأفعال والأقوال الغريبة ليرغبوا الناس في العطاء، ومنها تحدثالشعبذة وملاعبة القردة والطبل والفأل والشعر، حتى الواعظ الذي لايعلّم المستمعين شيئاً، وغرضه الوحيد هو التظاهر واستمالة قلوب العوام، فشغله ليس أفضل من الكدية، ويمكن العثور على أكثر من ألفين من أنواع هذه الكدية التي تبدو في الظاهر من الأشغال. فهذه أنواع الأشغال التي حدثت من وراء الاجتماع، وكلها ترتوي من معين الحاجات المعيشية، وهكذا الناس وهم في غفلة يرضخون إلى التعب والمشقة، ويعملون ليلًاونهاراً، ويدخرون الأموال وهم لايشعرون بأنّ الحياة في هذه الدنيا تقوم على أساس غفلتهم وتكاثرهم وحرصهم، وأنّ نظام الحياة يحتاج إلى ألّا يستيقظ الناس ولله في هذه السخرية والغفلة مصالح:

«ولكن جعل الله تعالى في غفلتهم وجهلهم نظاماً للبلاد ومصلحة للعباد، بل جميع أمور الدنيا انتظمت بالغفلة وخسّة الهمّة. ولو عقل الناس وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا، ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش، ولو بطلت لهلكوا ولهلك الزهّاد أيضاً»[١٠٣].

إنّ هذا الحديث الذي يقدم في الظاهر الحرفة على الفكر، والحياة المعيشية على الحياة الفكرية (ويعتبر خاصةحدوث الهندسة وعلم المساحة، وليد الاحتياجات الزراعيّة، وهو شبيهه بما يقوله المؤرخون الماركسيون، ويشاهد إشارات إليه في مصر القديمة)، وخاصّةً إذا أضفنا إليه البحث الرائع والعميق الذي أورده الغزالي في كتاب ذمّ الجاه والرياء والذي يعتبر فيه أنّ الشوق إلى الاستيلاء والغلبة هو المحرك لجميع أفعال الانسان حتى طلبه للعلم[١٠٤]، كلّ ذلك يمكن أن يؤدي إلى ابتهاج المنحرفين اليساريين وسرورهم، وحتى يؤدّي إلى اعتبارهم نظريّته في الغفلة نوعاً من التوهيم الآيديولوجيّ، ولكن مجرّد إلقاء نظرة عابرة إلى مجموع آثار الغزالي سيبعث ولاشك الخيبة والألم في نفوسهم؛ والعبارات التي يوردها الغزالي في ختام بحثه السابق تزيل كل شك ـ إن كان هناك من شك ـ ويعتبر أنّ الناجين هم الذين يقنعون بالضروري من الدنيا، ولايبقون في الدنيا وغفلتها، ويمضون بسرعة منها، ويشتغلون عمرهم بالتفكر بالله وذكره.

ويستنبط من أقوال الغزالي بوضوح أنّ على الزهّاد وأصحاب الفطنة ألّا يجزعوا لاختلال نظام العالم، وعليهم أن يجزعوا لأنفسهم ويكونوا على ثقة بأنّ الله تعالى يدير ويدبّر شؤون العالم بغفلة أهله وحرصهم، وأنّ هذا الدين كما قال الرسول (ص) «يؤيّد بأقوامٍ لا خَلاقَ لهم». ومسئولية التاريخ والعالم لاتقع علينا وأنّ مدير ومدبّر العالم هو غيرنا، وأنّ واجبنا هو مجاهدة النفس والشفقة على الناس، ويجب أن نعمل ضمن هذا الحدّ. وفي نفس الوقت، ليس لدى الجميع هذا الحدّ من الفطنة لأنّ الاطلاع على هذا السرّ يؤدي إلى انطفاء نار الحرص والتكاثر وانهدام نظام العيش.

ونذكر فيما يلي نماذج أخرى من أقوال الغزالي في هذا المعنى:

«.. فالمحترفون أيضاً إنّما سخّروا لينتظم المُلكُ لِلملوك وكذلك المقبلون على الدنيا سخّروا ليسلم طريق الدين لذوي الدّين وهو ملك الآخرة ولولاه لما سلم لذوي الدين أيضاً دينهم، فشرطُ سلامة الدّين لهم أن يعرض الأكثرون عن طريقهم وليشتغلوا بأمور الدنيا وذلك قسمة سبقت بها المشيئة الأزليّة وإليه الاشارة بقوله تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم...»[١٠٥].

وأيضاً:

«... بل الرّياسة وحبّها يضطرّ الخلق إلى طلبها.. وقد وعد

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

اللّه أن يؤيّـد هذا الدين بأقوام لا خَلاقَ لهم فلا تشغل قلبَك بأمر النّاس فإنّ اللّه لايضيّعهم وانظر لنفسك. ثم إنّى أقول... إن لم يكن في البلد إلّا واحد وكان وعظه نافعاً للناس... فلا نمنعه منه ونقول له اشتغل وجاهِدْ نفسك فإن قال لستُ أقدر على نفسي فنقول إشتغل وجاهد. لأنّا نعلم أنّه لو ترك ذلك لهلك الناس كلّهم إذ لاقائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه فهو الهالك وحده وسلامةُ دينِ الجميع أحبّ عندنا من سلامة دينه وحده. فنجعلهِ فداءً للقوم ونقول لعلّ هذا هو الذي قال فيه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلّم: إن اللّه يؤيّد هذا الدين بأقوامٍ لا خَلاقَ لهم»[١٠٦].

وأيضاً:

«.. فكذلك لاتزال ألسنة الوعاظ مطلقة لحبّ الرّياسة ولايَدَعُونَها بقول من يقول: إنّ الوعظ لحبّ الرياسة حرامٌ، كما لايَدَعُ الخلقُ الشّربَ والزّنا والسّرقة والرّياء والظّلم و سائر المعاصي بقول اللّه تعالى ورسوله انّ ذلك حرام، فانظر لنفسك وكن فارغَ القلب من حديث الناس، فإنّ اللّه تعالى يصلح خلقا كثيراً بإفساد شخصٍ واحد وأشخاص وإنّ اللّه يؤيّد هذا الدين بأقوام لاخلاقَ لهم...»[١٠٧].

وأيضاً:

«وأمثال هذه المعارف التي إليها الإشارة لايجوز أن يشترك الناس فيها ولايجوز أن يُظهرها من انكشفَ له شيءٌ من ذلك لمن لم ينكشف له، بل لو اشترك النّاس فيها لخربت الدّنيا فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدّنيا، بل لو أكل النّاس كلّهم الحلال أربعين يوماً لخربت الدنّيا لزهدهم فيها وبطلت الأسواق والمعايش...»[١٠٨].

وللمولوي:

استـن این عالم.ای جان غفـلت اسـت
هوشـیاری این جهـان را آفـت اسـت

هوشـیاری زان جهـان اسـت و چو آن
غالـب آید، پسـت گـردد این جهـان

هوشـیاری آفـتـاب و حـرص، یـخ
هوشـیاری آب و این عـالم، وَسَـخ

زان جهـان انـدك ترشّـح می رسـد
تا نغـرّد درجهـان حرص و حسـد

گـر ترشّـح بیشـتر گـردد زغـیب
نه هنـر مانـد دراین عالم نه عیب[١٠٩]

ما چو واقـف گشـتـه ایم از چون وچنـد
مهـر بر لبـهـای ما بنـهـاده انـد

تا نگـردد رازهـای غیب فـاش
تا نگـردد منـهـدم نظم معـاش

تا نـدَرّد پرده غفـلت تمـام
تا نجـوشـد دیگ حکـمـت نیم خـام[١١٠]

خلق دیوانـنـد شـهـوت سلسله
می کشـدشـان سـوی دکّـان و غلـه

می کشـانـدشـان سـوی کسب و شـکـار
می کشـدشـان سوی کانـهـا و بحـار

می کشـانـدشـان به سوی نیك و بـد
گفـت حق في جیدهـا حبـل المَسَـد

قـد جَعَلنـا الحبـل في أعناقِهِـم
واتّخـذنا الحبـلَ مِـن أخْـلاقِهِـم[١١١]

شـهـوت دنـیـا مثـال گلخـن اسـت
که ازآن حمام تقـوی روشـن اسـت

لیك قسـم متـقّـی زین تون صفـاسـت
زانـکـه در گرمـابـه است و در نقـاست

اغـنـیـا مانـنـدهٔ سرگین کشـان
بهـرِ آتش کردن گرمـابـه دان

انـدر ایشـان حرص بنـهـاده خـدا
تا بود گرمـابـه گرم و بانـوا

ترك این تون گیر و در گرمـابـه ران
ترك تون را عَین آن گرمـابـه دان

هرکـه در تون اسـت او چون خادم اسـت
مرو را که صابـر اسـت و حازم اسـت[١١٢]

وأيضاً:

آن یکـی را قبـله شـد جـولاهـگـی
وان دگـر حارس برای جـامـگـی

آن یکـی بیکـار و رو در لامـکـان
که از آن سو دادیش تو قوت جان

کار او دارد که حق را شد مـرید
بهـرِ کار او زهـر کاری برید

دیگـران چون کودکـان این روز چنـد
تا به شب بر خاك بازی می کننـد[١١٣]

کظم غیظ اسـت ای پسـر خطّ امـان
خشـم حق یادآور و درکش عنـان

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020]

پس عوان كه معـدن اين خشـم گشـت
خشـم زشـتش از سبـع هم در گذشـت
چه امـيدسـتش به رحـمـت جز مگـر
بازگردد زان صفـت آن بی هنـر
گرچـه عالم را أز ايشـان چاره نيسـت
اين سـخـن انـدر ضلال افـكـنـديست
چاره نبـود هم جهـان را از جَمـين
ليك نبـود آن چمـين ماء معـين.[١١٤]

لايخـفـى على ذوي الاطـلاع الـفـرق بين التفسـير السيكـولـوجيّ للمـولوي وبين التفسير الاجتماعي للغزالي، واتفاقهما على أنّ المبدأ والغاية إلهيّان. وكذلك فإنّ في المثنوي أبياتاً يتحدث فيها المولوي عن اللعب المقلوب والذي هو في الحقيقة تعميم لمسألة الغفلة، ونحن نستنكف هنا عن نقل هذه الأبيات.

لننـظر إلى حديث الغـزالي في باب الفقه (وعموماً حول الحقوق والقانون) ودوره في هذا التحليل. فهو يعتبر الفقه على الأصـول مجمـوعة من الأوامر والنواهي التي تنفع في فصل الخصومات، وتنظيم أمور المعيشة، وتعتبر مؤسسة اجتماعية. وهو يؤكد في كتاب «العلم» من مجلّد الإحياء الأول على منزلة الفقه هذه، ويبين أنّ العلوم الشرعية على قسمين: أصول وفروع. والفـروع أيضاً على قسمين: إمّا تتعلق بمصالح الدنيا وإمّا تتعلق بمصـالـح الآخـرة. الأول هو الـذي يسمى فقهـاً، والموكلون عليه هم الفقهاء الذين هم علماء الدنيا. ثم يقول في تعليل دنيوية الفقه: «فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء»[١١٥]؛ لكن تدخل الشهوات تؤدي إلى ظهور النزاع، لهذا تأتي الحاجة إلى السلطان والقانون، والفقيه هو الشخص العـالم بالقـانون. لاتصدق هذه المسألة في أحكام الجراحات والحدود والديات وفصل الخصومات فقط، بل تجري أيضاً في أحكام الصلاة والصيام والحلال والحرام، لأنّه هنا أيضاً يقضي على حسب الشروط الظاهرية في صحة العمل وفساده، ولهذا تتولد الحيل الشرعية وتصبح مباحة وسهلة. ورغم أنّ علم الفقـه يقـارب العلوم الأخـروية ويؤخـذ من مشكاة النبوة ولايستغني عنه أي سالك، إلّا أنّ علم أحوال القلب كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والتقوى والغل والحقد والكبر والـريـاء والغضب والبخل في فتوى علماء الآخرة هو فرض عيني، وتركه يؤدي إلى غضب ملك الملوك والهلاك، والآن لنرى ألم يشر المولوي في الأبيات التالية الى نوعين من فقه الظاهر وفقه الباطن مجملاً ضمن تخطئته لتكبر النحوي؟

گر تو علّامـه زمـانـی در جـهـان
نك فنـای اين جهـان بين اين زمـان
مردِ نحـوی را از آن درد وخـتـيـم
تا شما را نَحـوِ محـو آمـوخـتـيـم[١١٦]
فقـه فقـه و نحـو نحـو و صرف صرف
دركـم آمـديابـی ای يار شـگـرف

(١٤)

الأشعـرية من المحـاور الفكـرية المشـتركة بين الغزالي والمـولـوي، فكلاهما في بيان أُصولها حازمان جازمان؛ ولكنّهما لايبديان ذلك الجمود والتعـنّت في الطبيق. فالغزالي يتحدث عن عدم عبث الفعل الالهي، وعن قبح البخل به، وعن نوع من التقـدم والتـأخـر العلّي والمعلوليّ والشرط والمشروط في العـالم[١١٧] وكلّ هذا لايتفق مع مواقف الأشعرية المتصلبة، والمـولـوي ينفي أيضـاً فعـل العبث من اللّه تعالى ويستدل بالأوامر والنواهي الإلهية على وجود الاختيار عند الانسان، اذ لو لم يكن الإنسان مختاراً لأصبح الفعل الإلهي عبثاً لايقبله العقل، وهذا يعني قبول التحسين والتقبيح العقليّين، وهو أمر طالما يصرّ الأشاعرة في نفيه وإبطاله:

هيچ دانـا هيچ عاقـل اين كنـد
با كلوخ وسنـگ خشـم و كين كنـد؟
خالـقـی كواخـتـر و گردون كنـد
امـر و نهـی جاهـلانـه چـون كنـد؟[١١٨]

والخلاصة أنّ ربّ الأشاعرة ربّ مستبدّ غير منطقي، ليس لأفعاله أي مسوغ عقلي وأخلاقي، ولهذا لايمكن الاعتماد عليه مطلقاً، فهو يستطيع أن يخدع ويختلف الوعد، وأن يحرق الأبرار في جهنم، ويأخذ الأشرار إلى الفردوس، وأن يصيب البريء الذي لاجرم له بسوء العاقبة، ويقرّب العاصين، كل ذلك جائز ولا مجال للإعتراض، لأن كلّ مايفعله هو في ملكه وليس في ملك غيره، ولهذا ليس ظلماً وسلباً لحق. والغزالي يرتعش أمام هذا الربّ من خوف العاقبة، وهو شديد القلق

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

والفزع على مستقبله المظلم، وعدم مبالاة الربّ، حَرَمه من الراحة والهدوء. ويروي الغزالي في موضعين من الإحياء حديثاً غريباً يتّفق مع مذهبه ليفهم طريقة خوف العالمين من اللّه:

«وقد أوحى اللّه تعالى إلى داود، عليه السلام: خَفني كما تخاف السَّبُع الضّاري... فمن عرف اللّه تعالى عرف من صفاته أنّه يُهلك العالمين ولايُبالي ويعلم أنّه مسخّر في قدرةِ من لو أهلك مثله آلافاً مؤلّفة وأبدَّ عليهم العذاب أبد الآباد لم يُؤثّر ذلك فيه أثراً ولم تأخذه عليه رقّة ولا اعتراهُ عليه جزع...»[١١٩].

وأيضاً:

«... ولايمكن أن تفهم الخوف منه في صفاته، جلّ جلاله، إلّا بمثال لولا أذن الشّرع لم يستجريء على ذكره ذو بصيرة، فقد جاء في الخبر أنّ اللّه تعالى أوحى إلى داود، عليه السلام: ياداود خفني كما تخاف السّبع الضّاري. فهذا المثال يُفهمك حاصل المعنى.. والحاصل أن السّبع يُخافُ لاالجنايةٍ سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنّه يفعل ما يفعل ولايبالي.. بل أنت عندهُ أخسّ من أن يلتفت إليك.. وللّه المثل الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة... إنّه صادق في قوله: هؤلاء إلى الجنّة ولا أبالي وهؤلاء إلى النّار ولا أبالي»[١٢٠].

وهذه أبيات للمولوي اقتبسها من حديث الغزالي ذاك:

ای زتو ویران دکان و منزلم
چون ننالم چون بیفشاری دلم؟
عاشقم من برفن دیوانگی
سیرم از فرهنگ و از فرزانگی
چون بدرّد شرم، گویم راز فاش
چند ازین صبر و زحیر وارتعاش؟
در حیا پنهان شدم همچون سجاف
ناگهان بجهم ز زیر این لحاف
ای رفیقان راهها را بست یار
آهوی لنگیم و او شیر شکار
غیر تسلیم و رضا کو چاره ای
در کف شیر نری خونخواره ای؟
او ندارد خواب و خور چون آفتاب
روحها را می کند بی خورد و خواب
که بیا من باش یا همخوی من
تا ببینی در تجلّی روی من[١٢١]

(١٥)

ويعتقد الغزالي أنّ للتوكّل ثلاث درجات:

«الدرجة الأُولى هي أن يعتمد الشخص المتوكل على اللّه، كاعتماده على وكيله. والثانية وهي أقوى أن يكون حاله مع اللّه تعالى كحال الطّفل مع أمّه فإنّه لايعرف غيرها ولايفزع إلى أحدٍ سواها ولايعتمد إلّا ايّاها... الثالثة وهي أعلاها أن يكون بين يَدَي اللّه تعالى في حركاته وسكناته مثل الميّت بين يدي الغاسل لايفارقه... وهذا الذي قوى يقينه بأنّه مجري للحركة والقدرة والإرادة والعلم وسائر الصفات وأنّ كلا يحدث جبراً فيكون بائنا عن الانتظار لما يجري عليه... وهذا المقام في التوكل يثمر ترك الدعاء والسؤال منه ثِقةً بكرمه وعنايته... ثمّ إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لايكون المقام الثالث في دوامه إلّا كصفرة الوَجَل... بل يكون صاحبها كالمبهوت»[١٢٢].

وللمولوي:

همچو کنعان پا زکشتی وامکش
که غرورش داد نفس زیرکش
که برآیم بر سر کوه مشید
منّت نوحم چرا باید کشید
کاشکی او آشنا ناموختی
تا طمع در نوح وکشتی دوختی
کاش چون طفل از حیل جاهل بدی
تا چو طفلان چنگ در مادر زدی[١٢٣]
زاولیا اهل دعا خود دیگرند
گه همی دوزند و گاهی بردرند
قوم دیگر می شناسم زاولیا
که دهانشان بسته باشد از دعا
از رضا که هست خاص آن کرام
جستن دفع قضاشان شد حرام
در قضا ذوقی همی بینند خاص
کفرشان آید طلب کردن خلاص
حُسن ظنّی بر دل ایشان گشود
که نپوشند از غمی جامهٔ کبود
چون قضای حق رضای بنده شد
حکم اورا بنده خواهنده شد
بی تکلّف نه پی مُزد و ثواب
بل که طبع او چنین شد مستطاب
پس چرا لابه کند او یا دعا
که بگردان ای خداوند، این قضا؟
پس چرا گوید دعا الّا مگر
در دعا بیند رضای دادگر؟

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

آن شـفـاعـت وان دعـا نز رحـم خود
می کند آن بنـدهٔ صاحـب رَشَـد
رحـم خود را او همان دم سوخـتـه است
که چراغ عشق حق افـروخـتـه است
دوزخ اوصـاف او عشـق است و او
سوخـت مر اوصـاف خود را مو به مو[١٢٤]

ولايخفى أنّ المولوي يعتبر تاركي الدعاء، من الذين وصلوا إلى مقام (وليس حال) الرضا، لكن الغزالي يبيح ترك الدعاء لواجدي حال (وليس مقام) التوكل فقط، والذي يكون دوامه بقدر دوام «صفرة الوجل».

والواقع أنّه في هذا الحال فقط لايبقى داعٍ ولا دعاء، وإذا مرّ على شفتيه دعاء فسيكون دعاء فاقدي الوعي:

آن دعـای بیخـودان خود دیگـر اسـت
آن دعـا زاو نیسـت گفـت داور اسـت
آن دعـا حق می کنـد چون او فنـاسـت
آن دعـا و آن اجـابـت از خداسـت[١٢٥]

ولكنّ هذا الحال لايدوم، والعارف المتوكل يعود مرة أخرى من الجمع إلى التفرقة ويدخل في الكثرة، وتجري عليه أحكام مقـام التفرقة. لهذا فإنّ الغزالي رغم قبوله مقام الرضا (وهو التسليم للأمور بخلاف مايهواه ويتمنّاه ويناله المحبّون لأجل المحبوب وبفضله، ويصبح المكروه من المحبوب طيّباً)، لايراه منـاقضـاً للدعـاء ويعتقـد: «إنّ الدعاء غير مناقض للرضا ولايخرج صاحبه عن مقام الرضا... فأمّا الدعاء فقد تعبّدنا به»[١٢٦].

ومن هنا تنبعث المسألة الكلامية المعروفة: ألّا يُلزم التسليم بالقـدر الإلهي، الـرضـا بالمعـاصي والفجور والكفر؟ ويجيب الغزالي بصراحة: بأنّ هذا الاعتقاد ينتج عن «الجهل بالتأويل، والغفلة عن أسـرار الشـرع». فالمسلم لايستطيع ويجب ألّا يرضى بالممقـوتـات، بل واجبه أن يسعى في دفعها، ولايرى الغـزالي تناقضاً بين الرضا بالقدر الإلهي وبين مقت القبائح (التي تقع أيضاً بالقدر الإلهي)، لأنّ هذا المقت والرضا بالأمر الواحد لايتعلق بالوجه الواحد. فالفعل من حيث أنه منتسب إلى اللّه مرضي، ومن حيث أنه فعل العبد منبوذ وممقوت. للمثال نقول: إذا مات من هو عدو زيد، وعدو أحد أعداء زيد، فإنّ زيداً سيكون راضياً من موته، وفي نفس الوقت غير راض، وهاتان الحالتان تنبعثان من وجهي الحادثة.

«وكذلك المعصية لها وجهان، وجهٌ إلى اللّه تعالى من حيث أنّه فِعْلُه واختيارُه وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسليماً للملك إلى مالك الملك ورضاً بما يفعله فيه، ووجهٌ إلى العبد من حيث أنّهُ كسبُه ووصفُه وعلامةٌ كونه ممقوتاً عند اللّه وبغيضاً عنده، حيث سلّط أسبابَ البُعد والمَقت فهو من هذا الوجه منكرٌ ومذمومٌ»[١٢٧].

وهو نفس الحل الذي ارتضاه المولوي وأورده في المثنوي:

دی سـؤالی کرد سـائـل مرمـرا
زانـکـه عاشـق بود او برمـاجـرا
گفـت نکـتـه الـرضّـا بالـکـفـر کفر
این پیمـبر گفـت وگفـت اوسـت مُهـر
باز فرمـود او که انـدر هر قضـا
مر مسـلمان را رضـا باید رضـا
نی قضـای حق بود کفـر و نفـاق؟
گربـدین راضـی شوم باشـد شـقـاق
ورنـیم راضـی بـود آن هم زیـان
پس چه چـاره باشـدم انـدرمـیـان؟
گفـتـمش این کفـر، مقضیّ نی قضـاست
هسـت آثـار قضـا این کفـر راسـت
پس قضـا را خواجـه از مقـضـیّ بدان
تا شـکـالـت حل شـود انـدرجـهـان
زشـتـی خط زشـتـی نقّـاش نیسـت
بلکـه از وی زشـت را بنـمـود نیسـت
قـوت نقـاش باشـد آنـکـه او
هم توانـد زشـت کردن هم نکـو
گر کشـانـم بحـث این را من بسـاز
تا سـؤال و تا جـواب آید دراز
ذوقِ نکـتـهٔ عشـق از من می رود
نقش خدمـت نقش دیگـر می شود[١٢٨]

وعلى أيّ حال نرى اختلافاً بين حديث الغزالي وحديث المولوي، حول مسألة دعاء أهل الرضا، مع أنّ كليهما يعتقدان بأنّه لامجال للدعاء في منزل من منازل السلوك.

(١٦)

يرى الغزالي أنّ بعض الفنون كالشعر والموسيقى ليست قبيحـة ومنكـرة في ذاتها، إنّما هي الوعاء القابل الّتي تجعلها

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

مذموماً في بعض الأحيان. فالشعر والموسيقى والسماع عاملا اثارة، ولايعطيان من ذاتهما شيئاً للمستمع. بل يثيران ماكان عنده من قبل، ويقويان تخيلات ضميره، ويسترعيان انتباهه إلى هذه التخيلات، فالأبـرار يزيدون براً بالسماع، والفجار والفـاسـدون الذين يغلب على قلوبهم الشر وطلب الفساد، تتأجج بالشعر والسماع نار شهواتهم، وينزلقون وراء ضمائرهم الفاسدة، ولذلك يجب ألّا يروي أمام كل انسان شعر يتضمن أوصـاف المحبوب وجمال خدّه وخاله، وألّا يسمع لكل شاب غافل بحضور مجالس السماع:

وينقل عن أبي سليمان داراني أيضاً:

«وبـواطنهم مشحـونـة بالشهوات وقلوبهم غير منفكّةٍ عن الالتفات إلى الصّور القبيحة فلا تحرّك الأشعار من قلوبهم إلّا ماهـو مستكنٌّ فيهـا فتشتعل فيها نيران الشّهوات فيزعقون ويتواجَدون وأكثرُ ذلك أوكلّه يرجع إلى نوع فسادٍ.. فإنّ المستمع ينزّل كل مايسمعه على مايستولي على قلبه...»[١٢٩].

وينقل عن أبي سلمان الداراني أيضاً:

«السّماع لايجعل في القلب ماليس فيه ولكن يحرّك ماهو فيه»[١٣٠].

إنّ هذا الرأي مع عدم النص على تحريم السماع، يشكّل أساس فتوى الغزالي، وهو أنّ السّماع في الأساس حلال، وأن بعض العـوارض واللواحق تجعله غير حلال. وهـذا التعليل لايتعـدى عند الغزالي هذا الحد، ولايشمل مصاديق أخرى. حتى إنّ الغزالي لايبيح بأيّ وجه استعمال المزمار والعود والوتر والـربابة في السماع، ويحرّم العزف على هذه الآلات والأوتار كلّيّاً، لأنّ الضرب على الآلة عادة شاربي الخمر، وصوته يدعو إلى معـاقرة الخمرة. وكل مايختص بأهل الفسق ويؤدي إلى التشبّه بهم بالتبعية حرام. وحتى إذا عزف على العود والربابة فخرج منها أصوات مزعجة، فإنّ سماعها عند الغزالي حرام أيضـاً فهو على أيّ حال يتضمن الضرب والاستماع إلى آلة تفوح منها رائحة الفساد، لفرط مجالسة الفاسدين.

وقد تجاوز المولوي الغزالي: فهو يؤيد ذلك التعليل حول الخمر أوّلاً، ولا يأبى عن سماع المزمار والربابة ثانياً، ويبيحه بناء على نفس التعليل كما يبدو، ويسمع عند ضرب الربابة صوت افتتاح أبواب الجنة[١٣١]:

نه همـه جا بی خـودی شرّ می کنـد
بی ادب را مـی چنـان تر می کنـد
گر بـود عاقـل نکـوفـر می شود
وربـود بدخـوی، بتّـر می شود
لیك اغـلب چـون بدنـد و ناپـسنـد
برهمـه مـی را محـرّم کـرده انـد
حکـم اغـلب راسـت، چـون غالب بدنـد
تیـغ را از دسـت رهـزن بسـتـدنـد[١٣٢]
لیك بد مقـصـودش از بانـگ ربـاب
همچـو مشتـاقـان خیال آن خـطاب
نالـهٔ سـرنـا وتهـدید دهـل
چیـزکـی مانـد بدان ناقـور کـل
پس حکـیـمان گفـتـه انـد این لحنـهـا
از دوار چـرخ بگـرفـتـیـم مـا
بانـگ گردشهـای چرخ است اینکـه خلق
می سرایـنـدش به طنـبـور و به حلـق
مؤمـنـان گوینـد کاثـار بهـشـت
نغـز گردانـیـد هـر آواز زشـت
پس غذای عاشـقـان آمـد سـماع
کـه دراو باشـد خیال اجـتـمـاع
قـوّتـی گیـرد خیـالات ضـمـیر
بلکـه صورت گردد ازبـانـگ صفـیر[١٣٣]

وهذه هي التخيلات التي يقويها عزف الربابة في الضمير:

هیچ می دانـی چـه می گـوید ربـاب
زاشـك چشـم و از جگـرهـای کبـاب
پوسـتـی ام دور مانـده من زگوشـت
چون ننـالم در فراق و در عـذاب؟
چوب هم گوید بُدم من شاخ سـبـز
زین من بشـکـسـت و بدرید آن رکـاب
مـا غریبـان فراقـیـم ای شـهـان
بشنـوید از ما: الی اللّه المآب
هم زحـق رسـتـیم اول در جهـان
هـم بـدو وامـی رویم از انـقـلاب
خوش کمانـچـه می کشـد کان تیر او
در دل عشّـاق دارد اضـطراب
تُرك و رومـی وعـرب گر عاشـق اسـت
همـزبـان اوسـت این بانـگ صـواب

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

از برون شش جهت این بانـگ خاست
کز جهـت بگـریز و رو از ما متـاب[١٣٤]

(١٧)

للغزالي:

«لأنّ العشق التامّ الكامل مايستغرق العاشق ويستوفي القلبَ حتى لايتركَ فيه مُتّسعاً لغيره فمحبّ اللّه تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يعدو نظره وتفكره محبوبه...»[١٣٥].

وأيضاً:

«ومن حدّ هذا العشق أنّه لايقبل الشركة وكلّ ما سوى هذا العشق فهو قابل للشّركة. إذ كلّ محبوب سواه يتصور له نظيرٌ إمّا في الوجود وإمّا في الإمكان فامّا هذا الجمال فلا يتصوّر له ثانٍ لا في الإمكان ولا في الوجود»[١٣٦].

للمولوي:

عاشقـان را شادمـانـیّ و غم اوسـت
دستـمـزد و اُجـرتِ خدمـت هم اوسـت
غیر معـشـوق از تماشایی بـود
عشـق نبـود هرزه سـودایی بـود
عشق آن شعله است کوچـون بر فروخت
هرچـه جز معـشـوق باقی جمـله سوخـت
تیغ لا در قتـلِ غیر حـق برانـد
درنـگـر زان پس که بعـد لا چه مانـد
مانـد الاّ الـلّه، باقـی جمـله رفـت
شاد باش ای عشـق شرکـت سوز زفـت
خـود هم او بود اوّلـین و آخـرین
شرك جز ازدیدهٔ احـول مبـین[١٣٧]
شمس در خارج اگرچـه هسـت فرد
مثـل آن هم می تـوان تصـویر کـرد
لیك شمـسـی که ازوشـد هسـت اثـیر
نبـودش در ذهـن و در خارج نظیـر
در تصـوّر ذات او را گنـج کـو؟
تا درآید در تصـوّر مثـل او[١٣٨]

(١٨)

للغزالي:

«فإن قلت فالدّاعي إلى المعاصي المختلفة شيطانٌ واحدٌ او شياطين مختلفون؟ فاعلم أن لاحاجة لك إلى معرفة ذلك في المعاملة، فاشتغل بدفع العدوّ ولاتسأل عن صفتِه. كُلِ البقلَ من حيث يُؤتى ولاتسأل عن المبقلة»[١٣٩].

وأيضاً:

«فـان قلت فهذه الرّؤيا محلّها القلب أو العين في الآخرة فاعلم أنّ الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لايلتفتون إلى هذا الخلاف ولاينظرون فيه، بل العاقل يأكل البقل ولايسأل عن المبقلة»[١٤٠].

للمولوي:

ابـلهـان گوینـد این افـسـانـه را
خط بکش زیـرا دروغ اسـت و خـطا
ای برادر قصّـه چون پیمانـه اسـت
معـنـی انـدر وی بسـان دانـه اسـت
دانـهٔ معـنـی بگـیرد مـرد عقـل
ننـگـرد پیـمانـه را گر گشـت نقـل
ماجـرای بلبـل و گل گوشـدار
گرچـه گفـتـی نیست اینجـا آشکـار
گفـت نحـوی زیدُ عمـرواً قد ضرب
گفـت چونش کـرد بی جرمـی ادب؟
گفـت این پیمانـهٔ معـنـی بـود
گنـدمش بستـان که پیمانـه است ردّ[١٤١]

(١٩)

للغزالي:

«فـان قلت فكيف يتـواضـع للفـاسق المتـظاهـر بالفسق وللمبتدع... فاعلم أنّ ذلك إنّما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة. بل لو نظر إلى كافرٍ لم يُمكنه أن يتكبّر عليه، إذ يتصوّر أن يسلم الكافر فيُختم له بالايمان ويضلّ هذا فيُختم له بالكفر...»[١٤٢].

للمولوي:

هیچ کافـر را بخـواری منـگـرید
که مسـلمان مردنش باشـد امـیـد
چه خبـر داری زخـتـم عمـر او
تا بگـردانـی ازو یکـبـاره رو؟[١٤٣]

(٢٠)

للغزالي:

«... أما تتأمّلين؟ مذكم تعدين نفسكِ وتقولين غداً غداً فقد جاء الغد وصار يوماً فكيف وجدته؟ أما علمتَ أنّ الغد الذي جاء

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

وصار يوماً كانَ له حكم الأمس، لابل الّذي تعجزين عنه اليوم فأنت غداً عنه أعجز وأعجز لأنّ الشّهوة كالشّجرة الراسخة التي تعبّد العبد بقلعها، فإذاعجز العبدُ عن قلعها للضّعف وأخّرها كان كمن عَجَز عن قلع شجرةٍ و هو شابٌّ قويّ فأخّرها إلى سنة أُخرىٰ، مع العلم بأنّ طولَ المدّة يزيد الشّجرةَ قوةً ورسوخاً ويزيد القالع ضعفاً ووهناً...»[١٤٤].

للمولوي:

ای خنك آن را كه او ایّام پیش
مغتنم دارد گزارد وام خویش
اندر آن ایّام كِش قدرت بود
صحّت و زور دل و قوّت بود
پیش از آن كایّام پیری در رسد
گردنت بندد به حبل من مَسَد
همچو آن مرد درشت خوشت سخن
در میان ره نشانْد او خاربن
ره گذریانش ملامتگر شدند
بس بگفتندش بكن آن را نكنند
هردمی آن خاربن افزون شدی
پای خلق از زخم آن پرخون شدی
جامه های خلق بدریدی زخار
پای درویشان بخستی زارزار
چون به جدّ حاكم بدو گفت این بكن
گفت آری برکنم روزیش من
مدتّی فردا و فردا وعده داد
شد درخت خار او محكم نهاد
گفت روزی حاكمش ای وعده كژ
پیش آدر كارما واپس مَغَزْ
گفت الایّامُ یا عمّ بیننا
گفت عجّل لاتُماطل دیننا
تو كه می گویی كه فردا این بدان
كه به هر روزی كه می آید زمان
آن درخت بد جوانتر می شود
وین كننده پیرو مضطرّ می شود
او جوانتر می شود تو پیرتر
زودباش و روزگار خود مبر
خاربن دان هریكی خوی بدت
بارها درپای، خار آخر زدت
هین وهین ای راهرو بیگاه شد
آفتاب عمر سوی چاه شد
هین مگو فردا كه فرداها گذشت
نا بكلّی نگذرد ایّام كشت
پند من بشنو كه تن بند قویست
كهنه بیرون كن گرت میل نویست[١٤٥]

(٢١)

ويبدو أنّ المصدر الوحيد لحكاية عليّ (ع) مع عمرو بن عبدود التي وردت في آخر الدفتر الأول من المثنوي، هو كتاب كيمياى سعادت للغزالي. وقد أضاف المولوي كعادته مسائل كثيرة إلى هذه الحكاية، واستنبط كثيراً من النكات الظريفة والحكم منها. يقول الغزالي:

«... وهكذا أهوى عليّ (رض) على الكافر ليقتله، فبصق الكافر في وجهه فكف عنه ولم يقتله، وقال: غضبتُ، فخفتُ ألاّ يكون قتلي ايّاه في سبيل اللّه»[١٤٦].

للمولوي:

از علی آموز اخلاص عمل
شیر حق را دان منزّه از دغل
در غزا بر بهلوانی دست یافت
زود شمشیری بر آورد و شتافت
او خدو انداخت بر روی علی
افتخار هر نبیّ و هر ولی
در زمان انداخت شمشیر آن علی
كرد او اندر غزایش كاهلی
گشت حیران آن مبارز زین عمل
از نمودن عفو و رحم بی محل
گفت بر من تیغ تیز اقراشتی
از چه افكندی مرا بگذاشتی؟
گفت من تیغ از پی حق می زنم
بندهٔ حقّم نه مأمور تنم؟
چون خدو انداختی بر روی من
نفس جنبید و تبه شد خوی من
نیم بهر حق شد و نیمی هوا
شركت اندر كار حق نبود روا[١٤٧]

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

(٢٢)

يوجد في إحياء علوم الدين والمثنوي مواضيع مشتركة كثيرة نورد بعضها مفهرساً فيما يلي:

شياطـين الإنس (٣: ٣٩٦)، الـظواهر المزينة والبواطن الخبثة (٣: ٣٩٠)، ذكر اللّه والتفكر في جلاله (٣: ٢٣٧)، إنّما الغنى غنى النفس، وليس كثـرة العـرض (٣: ٢٣٨)، لزوم المجاهدة والتعب الشديد المستمر (٣: ٦٩)، ما من إنسان إلاّ وفي باطنه فرعون (وموسى) (٣: ٢٨١)، أهمية الحال في إزاء المقـال (٣: ٢٧٦)، فعل العبد وفعل اللّه، ومراتب وجودهما، والإنتباه إلى مارميت إذ رميت ولكن اللّه رمى (٣: ٣٧٢) و (١: ٢٩٣، ٢٨٣)، يجب عدم إفشـاء الأسـرار وبعض الحالات لايمكن الفصـح عنهـا (٤: ٢٤٨ و ٤: ٩٧)، شهادة جميع حركاتنا وسكناتنا على وحدانية اللّه(٤: ٣٢١)، كون العالم كلّه جميل، واستفادة كل مدرك للجمال من جمال اللّه (٤: ٣٤٨)، زوال المحبة التي تبنى على الطمع (٤: ٣٦٠)، لن يكون الأمر مع الكرماء صعب (٤: ٤٢٣)، الغناء عن النفس في مشاهدة اللّه، وغلبة سكر المحبة والوصول إلى الغناء (٢: ٢٩١)، تشبيه المال بالماء (٤: ١٩٢)، معرفة النور من ضدّه (٤: ٣٢١)، نفع الآلام والشقاء ودورها في إزالة الغفلة (٤: ٢٨٩)، انجذاب كلّ جنس بجنسه (٤: ٢٦٣)، تفاوت العقول منذ نشأتها (١: ٨٨)، غفلة السالك عن الماضي والمستقبل (٤: ٤٢).

ومن الإختـلافات الفكرية البارزة بين المولوي والغزالي تعارضهما حول شطحيات العرفاء وقول منصور الحلاج «أنا الحق»، فيرى الغزالي أنّ قول أنا الحق، «خطأ بعينه» ويشبه ادّعاء النصارى حول المسيح (٢: ٢٩١)، في حين أنّ المولوي يؤيّد شطحيات بايزيد والحـلاج ويفسّـرهما، وأبيات المولوي التالية تتضمّن هذه المواضيع بالترتيب:

چون بسی ابـلیس آدم روی هست
پس به هر دستـی نشاید داد دست
ظاهـرت چـون گورکـافر پر حلل
واندرون قهـر خـدا عـزّوجـل
این قـدر گفـتـیم باقـی فکر کن
فکـر اگر جامـد بود رو ذکـر کن
شـاه آن باشـد که از خود شـه بود
نی به مخـزنـهـا و لشـکـر شـه شود
این طالـب کاری مبـارك جنبـشی ست
این طلب در راه حق مانـع کشـی ست
موسـی و فرعـون در هسـتـیّ تسـت
باید این دو خصـم را درخـویش جسـت
مـا برون را ننـگـریم و قـال را
بل درون را بنـگـریم و حـال را
گربـپـرّانـیم تیـر آن نی زمـاست
ماکمان و تیرانـدازش خـداسـت
مارمـیت إذ رمـیتَ گفـت حـق
کاراو بر کـارهـا دارد سـبـق
مارمـیت إذ رمـیتَ خـوانـده ای
لیك جسـمـی در تجـزّی مانـده ای
تا نگـویی سرّ سـلطان را به کس
تانـریـزی قنـد را پیش مگس
تا به دریا سیر اسـب و زین بـود
بعـد از آنـت مرکـب چوبـین بـود
این خمـوشـی مرکـب چوبـین بود
بحـریان را خامـشی تلقـین بـود
جنـبش ماً هـردمـی خود اشهـدسـت
که گـواه ذو الجـلال سـرمـدسـت
جنـبش سـنـگ آسیا در اضـطراب
أشهـد آمـد بر وجـود جوی آب
هر کسی پیش کلـوخـی سینـه چاك
کان کلوخ از حسـن آمـد جرعـه ناك
باده خـاك آلـودتـان مجـنـون کنـد
صـاف اگر باشـد ندانـم چون کنـد
عشـقـهـایی کز پی رنـگی بـود
عشـق نبـود عاقـبـت ننگـی بود
هین مگـو ما را بدان، شـه بار نیسـت
باکـریمان کـارهـا دشـوار نیسـت
چـون زبـانـه شمـع پیش آفـتـاب
نیسـت باشـد، هسـت باشـد در حسـاب
پیش شیری آهـوی مدهـوش شد
هسـتـیش در هسـت او روپـوش شد
مال را کزبـهـر دین باشـی حمـول
نعـم مالٌ صالـحٌ خوانـده رسـول
آب در کشـتـی هلاك کشـتـی اسـت
آب انـدر زیر کشـتـی پشـتـی اسـت

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

پس به ضدّ نور دانستی تو نور
ضدّ ضدّ را می نماید در صدور

دردها بخشید حق از لطف خویش
تا نخسبم جمله شب چون گاومیش

ذرّه ذرّه کاندرین ارض و سماست
جنس خود را همچو کاه و کهربا ست

اختلاف عقلها از اصل بود
بر وفاق سنّیان باید شنود

بر خلاف قول اهل اعتزال
که عقول از اصل دارند اعتدال

هست هشیاری زیاد ماضی
ماضی و مستقبلت پردهٔ خدا

آتش اندرزن بهر دوتابکی
پرگره باشی از این دو همچونی؟

صبغة اللّه چیست؟ خم رنگ هو
پیسها یك رنگ می گردد در او

چون در آن خم افتد و گوییش قُم
گویدت بی شك منم خم لاتَلُم

این «منم خم» خود أنا الحقّ گفتن است
رنگ آتش دارد امّا آهن است

گفت فرعونی أنا الحق گشت پست
گفت منصوری أنا الحقّ و برست

با مریدان آن فقیر محتشم
بایزید، آمد که یزدان تك منم

گفت مستانه عیان آن ذوفنون
لا اله إلّا أنا، ها فاعبدون

مست گشت او بازاز آن سغراق زفت
آن وصیّتهاش از خاطر برفت

عقل را سیر تحیّر در ربود
زان قویتر گفت کاوّل گفته بود

نیست اندر جبّه ام الّا خدا
چند جویی در زمین و در سما؟

نقش او فانیّ و او شد آینه
غیر نقش روی غیر آنجای نه

لب ببند ارچه فصاحت دست داد
دم مزن، واللّه أعلم بالرّشاد

نسأل اللّه التّسديد وحُسن العاقبة ونصلّي ونسلّم على محمّد وآله، ولاحول ولاقوّة إلّا باللّه العليّ العظيم.

المصادر والهوامش:

١ ـ هذا الاقتباس عن كلام علي، عليه السلام، عند الحديث عن مؤمن: «وكان يُعظّمه في عيني صِغر الدنيا في عينه». **نهج البلاغة**، ج٦، الكلمة ٢٨١.

٢ ـ أنظر: **إحياء العلوم**، ج١/ كتاب العلم و ج٣/ كتاب ذم الغرور.

٣ ـ أخذ عن الخاقاني:
قفل اسطورهٔ ارسطو را بر در أحسن الملل منهید
نقش فرسودهٔ فلاطون را بر طراز بهین نحل منهید

٤ ـ راجع **إحياء العلوم**، ج١/ كتاب العلم و ج٣/ كتاب ذم الغرور. (بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٣).

٥ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذم الغرور، و ج١/ كتاب العلم، آفات المناظرة. ج١.

٦ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذم الغرور و ج١/ كتاب العلم: بيان مابدّل من ألفاظ العلوم.

٧ ـ ن. م، ج٢/ كتاب آداب السفر، ص ٢٥٠: «..والأمور الدينيّة كلّها قد فسدت وضعفت إلّا التصوّف فإنّه قد انمحق بالكلّية وبطل».

٨ ـ أنظر: **مناقب العارفين**، شمس الدين أحمد الأفلاكي، تصحيح تحسين اليازجي، ج١/، ص ١٠١ ـ ١٠٢).

٩ ـ حديث الغزالي لأبي بكر بن وليد القريشي، عندما طلب منه في الشام أن يناظره: «تركناه لصبية في العراق». (**غزالي نامه**، الاستاذ همايي، ص ١٦٦ نقله عن **مرآة الجنان**، لليافعي).

١٠ ـ أنظر: **تعريف الإحياء بفضائل الأحياء**، لعبد القادر عيدروس، ملحق المجلد الأول **لإحياء العلوم**، ص ١٢، طبعة بيروت، ١٩٨٣.

١١ ـ اقتبس من رباعيّة لمولوي:
زاهد بودم ترانه گویم کردی
میخوارهٔ بزم و باده خویم کردی
سجّاده نشین با وقاری بودم
بازیچهٔ کودکان کویم کردی

١٢ ـ اقتبس من بيت لمولوي:
موسيا آداب دانان ديگرند سوخته جان و روانان ديگرند
وعن حكاية وردت في **مناقب العارفين** لشمس الدين أحمد الأفلاكي، ج١، ص ٤٧١.

١٣ ـ «إذا الأنبياء والأولياء انكشفت لهم الأُمور وسعدت نفوسهم بنيل كمالها الممكن لها، لا بالتعلّم بل بالزّهد في الدنيا والإعراض والتبرّي عن علائقها والإقبال بكل الهمّة على اللّه تعالى. فمن كان للّه كان اللّه له حتى انّه في الوقت الذّي صدقت فيه رغبتي لِسلوك هذا الطّريق، شاورت متبوعاً مقدّماً من الصّوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فَمَنَعني وقال: السّبيل أن تقطع علائقك من الدّنيا بالكلّيّة بحيث لايلتفت قلبك إلى أهل وولد ومال ووطن وعلم وولاية... ثمّ تخلو بنفسك في زاويةٍ...». **ميزان العمل**، للغزالي، ص ٢١٢، تحقيق ومقدّمة الدكتور سليمان الدنيا، دار المعارف، بمصر، ١٩٦٤.

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

١٤ ـ

اخـذت بأعضادهم اذ ونوا وخلّفـك الجهـد إذ سرعـوا
واصبحت تَهدي ولا تَهتـدي وتُسمِـع وعـظاً ولاتَسمَـع
فيا حجـر الشحذ حتّى متى تسـنّ الحـديد ولا تقـطع

(مقدّمة اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار علوم الدين، القاهرة ١٣١١ق).

١٥ ـ

ای رستـخیز ناگهـان وی رحـمت بی منتهـا
وی آتش افـروختـه دربیشـهٔ انـدیشـه ها

(ديوان شمس التبريزي، الغزل الأوّل)

١٦ ـ

ترس مویی نیسـت انـدر پیش عشـق
جمـله قربـانـنـد انـدر کیش عشـق
عشـق وصـف ایزد است امـا که خوف
وصـف بنـدهٔ مبـتـلای فرج وجـوف
زاهـد با ترس می تازد به پا
عاشـقـان پرّان تر از باد صبـا
کی رسـنـد این خائـفـان در گرد عشق
کاسـمان را پسـت سازد درد غسـق

وأيضاً:

پوز بند وسـوسـه عشق اسـت و بس
ورنـه کی وسـواس را بستـه است کس؟

(المثنوي، الدفتر الخامس)

وأيضاً عن ديوان شمس:

در ره معـشـوق ما ترسـنـدگان را کارنـیسـت
جمله شاهـانـنـد آنـجـا، بنـدگان را بارنیست

(ج١، ص ٢٣١، تصحيح فروزانفر)

١٧ ـ

جان من بسـتـان توای جان را اصـول
زانـکـه بی توگشـتـه ام ازجـان ملول
عاشـقـم مـن بر فـن دیوانـگـی
سـیرم از فرهـنـگ واز فرزانـگـی

(المثنوي، الدفتر السادس)

١٨ ـ مناقب العارفين، ج١، ص ٢٢٠، أنظر أيضاً: ج١، ص ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

١٩ ـ

فراخ تر ز فلك گشت سینـهٔ تنـگـم
لطیف تر ز قمـر گشت چهـرهٔ زردم
شرابـخـانـهٔ عالم شده است سینـهٔ من
هـزار رحـمـت بر سینـهٔ جوانـمـردم

(ديوان شمس، ج٤، ص ٥٦)

٢٠ ـ

باده غمگینـان خورنـد ومـا ز می خوشدل تریم
رو به محـبـوسـان غم ده ساقیا افیون خویش
خون ما بر غم حرام و خون غم بر ما حلال
هر غمـی کو گرد ما گردید شد درخون خویش

(ديوان شمس، ج٣، ص ٩٨)

٢١ ـ

می ده گزافـه ساقـیا تاکـم شود خوف و رجـا
گردن بزن انـدیشـه را ما از کجـا او از کجـا
امـروز مهـمان توام مسـت و پریشـان توام
پرشد همه شهر این خبر کامروز عیش است، الصلا

(ديوان شمس، ج١، ص ٢٧)

٢٢ ـ

مادرم بخـت بدسـت و پدرم جود و کرم
فرح بن الفـرح بن الفـرح بن الفـرحم
مُرد غم در فرحش که جبر اللّه عزاك
آن چنـان تیغ چگـونـه نزنـد گردن غم؟

(ديوان شمس، ج٤، ص ٩)

٢٣ ـ

می وصلم بچـشـان تا در زنـدان ابـد
از سـر عربـده مسـتـانـه به هم درشکنم

(من غزل ينسب إلى المولوي)

٢٤ ـ

در چنـیـن مسـتـی مراعـات ادب
خـود نبـاشـد ور بود باشـد عجب
جمع صـورت با چنـان معـنـای ژرف
نیسـت ممکـن جـز ز سلطان شگـرف

(المثنوي، الدفتر الثالث، في بيان خلوّ الصحابة من حافظ للقرآن)

٢٥ ـ

یك زمـان بگـذار، ای همـره مـلال
تا بگـویم وصـف خـالی زان جمـال
در بیـان ناید جمـال حـال او
هـر دو عالم چیسـت عکس خـال او
چونـکـه من از خال خویش دم زنـم
نطق می خـواهـد که بشـکـافـد تنـم

(المثنوي، الدفتر الثاني، كلام اللّه مع الملائكة)

٢٦ ـ ومن عرف ضعف نفسه وعجزه.. علم انّه لم يقو عليه (أي نفي العُجب) بنفسه بل باللّه تعالى... ومن أمن مكر اللّه فهو خاسر جدّاً بل سبيله أن يكون مشاهداً جملة ذلك من فضل اللّه... ويكون خائفاً... غير آمن مكر اللّه ولا غافل عن خطر الخاتمة. وهذا خطرٌ لا محيص عنه وخوف لانجاة منه إلّا بعد جاوزة الصّراط... فلذلك لايفـارق الخوف والحذر قلوب أولياء اللّه أبدا. فنسأل اللّه تعالى العون والتّوفيق وحسن الخاتمة فإنّ الأمور بخواتيمها». (الإحياء،

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

٣/ كتاب ذمّ الغرور، ص ٤١٤) وأيضاً: «فالذي يرفع محمّداً، صلّى اللّه عليه وسلّم، إلى أعلى علّيّين من غير وسيلةٍ سبقت منه قبل وجوده ويضع أبا جهلٍ في أسفل السّافلين من غير جنايةٍ سبقت منه قبل وجوده جديرٌ بأن يُخاف منه صفة جلاله... وإذا كانت الحوالة ترجعُ إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزمٌ عند كل عاقل، ووراء هذا المعنى سرّ القدر لايجوز إفشاؤه...» (**الإحياء**، كتاب الخوف والرّجاء، ص ١٥٩).

٢٧ ـ «... ولعلّ ما أودعناه هذا الكتاب (**إحياء علوم الدين**) **أن تعلّمه المتعلّم...يُرجى أن ينزجر به في آخر عمره فإنه مشحون بالتخويف باللّه والترغيب في الآخرة والتحذير من الدنيا**» (**الإحياء**، ج٢/ كتاب آفات العزلة، ص ٢٣٧).

٢٨ ـ «وأغمض أنواع علوم المعاملة الوقوف على خدع النّفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله الخلق... ولاينجي من كثرة الوسواس إلا سدّ أبواب الخواطر... والخلوة في بيت مظلم تسدّ أبواب الحواسّ والتجرّد عن الأهل والمال يقلّل مداخل الوسواس من الباطن ويبقي مع ذلك مداخل باطنة في التخيّلات الجارية في القلب وذلك لايُدفع إلّا بشغل القلب بذكر اللّه تعالى ثمّ انّه لايزال يجاذب القلب وينازعه ويلهيه عن ذكر اللّه تعالى فلابدّ من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لهُ الّا الموت اذلا يتخلّص احدٌ من الشيطان مادام حيّاً...». (**الإحياء، ج٣/ كتاب شرح عجايب القلب، ص ٣٠**).

٢٩ ـ «**... لأنّ العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة مايطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة مايُطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ايداعها الكتب...**». (**الإحياء**، ج١، ص ٣ ـ ٤).

٣٠ ـ «... ومنها (ثمرات اليقين) أن يكون حزيناً منكسراً مطرقاً صامتاً يظهر الخشية على هيأته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته... وأمّا التهافت في الكلام والتشدّق والاستغراق في الضّحك والحدّة في الحركة والنّطق فكّل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة من عظيم عقاب اللّه تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدّنيا الغافلين عن اللّه دون العلماء به». (**الإحياء**، ج١/ كتاب العلم، ص ٧٥).

٣١ ـ أنظر مثلاً: **الإحياء**، ج١/ الفصل الثالث من قواعد العقايد عند البحث عن كلام اللّه.

٣٢ ـ

هر كه را جامه زعشقى چاك شد
او زحرص و عيب، كلّى پاك شد
مرحبا اى عشق خوش سودای ما
اى طبيب جمله علّتهای ما

(**المثنوي**، الدفتر الأول، المقدّمة)

٣٣ ـ

پوزبند وسوسه عشق است و بس
ورنه كى وسواس را بسته است كس؟

(**المثنوي**، الدفتر الخامس، قصة الجبري مع مؤمن من أهل السّنة)

٣٤ ـ أنظر مثلاً: **الإحياء**، ج٤/ كتاب التوحيد والتوكل، ص ٢٥٤ وبعدها.

٣٥ ـ

لفظ جبرم عشق را بى صبر كرد
وانكه عاشق نيست حبس جبر كرد
اين معيّت با حق است وجبر نيست
اين تجلّى مه است، اين ابر نيست
ور بود اين جبر جبر عامه نيست
جبر آن امّاره خودكامه نيست

(**المثنوي**، الدفتر الأوّل، حكاية عمر وموفد البيزانس)

٣٦ ـ

گر شوم مشغول اشكال و جواب
تشنگان را چون توانم داد آب

(**المثنوي**، الدفتر الأوّل، قصّة الأعرابي والخليفة)

٣٧ ـ

فلسفى منكر شود در فكر وظنّ
گو٠ برو سررا بدان ديوار زن
هر كه را در دل شك وپيچانى است
در جهان او فلسفى پنهانى است
فلسفى كو منكر حنّانه است
از حواس انبيا بيگانه است
بيشتر اصحاب جنّت ابلهند
تا ز شرّ فيلسوفى مى رهند

(**المثنوي**، الدفتر الأوّل)

٣٨ ـ مناقب العارفين، ج١، ص ٤٩٧.

٣٩ ـ

هر كه محراب نمازش گشت عين
سوى ايمان رفتنش ميدان توشين
هر كه شدمرشاه را او جامه دار
هست خسران بهر شاهش اتّجار
هر كه با سلطان شود او همنشين
بر درش شستن بود حيف و غبين
دست بوسش چون رسيد از پادشاه
گر گزيند بوس پا باشد گناه

(**المثنوي**، حكاية الببغاء والتاجر، ويمكنك الرجوع إلى رقم ١٨ من هذا الهامش)

٤٠ ـ

خرده كاريهای علم هندسه
يا نجوم و علم طبّ و فلسفه

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

که تعلّق با همین دنیی ستش
ره به هفتم آسمان بر نیستش
این همه علم بنای آخورست
که عماد بودِ گاو و اشترست
علم راه حق و علم منزلش
صاحب دل داند آن را یا دلش

(**المثنوي**، الدفتر الرابع، عند تفسير الحديث النبوي «إنّ الله تعالى خلق الملائكة»)

٤١ ـ يقول المولوي في الدفتر الأوّل على لِسان البطل الذي بصق في وجه الإمام علي، عليه السلام:

یاتو واگو آنچه عقلت یافته است
یابگویم آنچه بر من تافته است
از توبر من تافت چون داری نهان؟
می فشانی نور چون مه بی زبان
لیك اگر در گفت آید قرص ماه
شبروان را زود تر آرد به راه
ماه بی گفتن چو باشد رهنما
چون بگوید شد ضیا اندر ضیا

(**المثنوي**، الدفتر الأوّل، بصق العدوّ في وجه الإمام علي عليه السلام)

٤٢ ـ **أحاديث مثنوي**، بديع الزمان فروزانفر، الطبعة الثانية، انتشارات أمير كبير، ١٣٤٧ش، مآخذ قصص وتمثيلات مثنوي، بديع الزمان فروزانفر، الطبعة الثانية إنتشارات أمير كبير، ١٣٤٧ش.

٤٣ ـ **الإحياء**، ج١/ كتاب العم، ص ٣٠.

٤٤ ـ **المثنوي**، الدفتر الخامس.

٤٥ ـ ن. م، الدفتر السادس.

٤٦ ـ ن. م، الدفتر الخامس.

٤٧ ـ **الإحياء**، ج١، ص ٣٠.

٤٨ ـ **المثنوي**، الدفتر السادس.

٤٩ ـ ن. م.

٥٠ ـ **الإحياء**، ج١/ آداب المتعلّم والمعلّم ، ص ٥١.

٥١ ـ **المثنوي**، الدفتر الأوّل، الببغاء والتاجر.

٥٢ ـ ن. م، الدفتر الأوّل، حكاية الدرويش والمرأة.

٥٣ ـ ن. م، الدفتر الثاني، طعن غريب للشيخ.

٥٤ ـ ن. م، الدفتر الثاني، حديث عائشة مع النبي (ص)، والفأرة وسحب زمام الناقة.

٥٥ ـ ن. م، الدفتر الثاني، تهكم الصوفية عند الشيخ على ذلك الصوفي.

٥٦ ـ **الإحياء**، ص ٨٢.

٥٧ ـ ن. م، ج٤/ كتاب النيّة والإخلاص والصدق، ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

٥٨ ـ **المثنوي**، الدفتر الرابع، نمو شجرة الخروب في زواية المسجد الأقصى.

٥٩ ـ **الإحياء**، ج١/ كتاب العلم، ص٨٧ وأيضاً ج٣، ص١٧.

٦٠ ـ **المثنوي**، الدفتر الثاني، المشيخ خضروية وشراء الحلوى.

٦١ ـ **الإحياء**، ج٤، كتاب التوحيد والتوكّل، ص٢٤٨.

٦٢ ـ ن. م، ج٢/ كتاب آداب السفر، ص٢٤٦.

٦٣ ـ ن. م، ج١/ كتاب قواعد العقائد، ص١٠٣.

٦٤ ـ **المثنوي**، الدفتر الثالث، قصّة صيّاد الأفاعي.

٦٥ ـ **الإحياء**، ج١/ كتاب قواعد العقائد، ص١١١.

٦٦ ـ **المثنوي**، الدفتر الأوّل، قصّة رسول قيصر وعمر. إنّ كلام المولوي عن الجبر والتفويض يضم قسماً كبيراً من المثنوي واهتمام المولوي بهذه المسألة يدلّ علىٰ أشعريّته ودفاعه عن التفويض تجاه تهمة الجبر، وأيضاً يدلّ علىٰ الأخذ من آثار الغزالي الذي بدوره اهتمّ كثيراً بهذه المسألة، ويدلّ علىٰ أنّ هذه المسألة هي مشكلة جميع العرفاء الذين يريدون أن يجمعوا بين الغناء والتّوحيد والتوكّل والتفويض.

٦٧ ـ **الإحياء**، ج١/ كتاب ترتيب الأوراد وتفصيل إحياء اللّيل، ص٣٣٦.

٦٨ ـ ن. م، ج٤/ كتاب المحبّة والشوق الإنس والرّضا، ص٣٠١.

٦٩ ـ ن. م، ص٣١٧.

٧٠ ـ **المثنوي**، الدّفتر الثاني، قصّة لقمان والخواجه.

٧١ ـ **الإحياء**، ج٢/ كتاب آداب السفر، ص٢٤٧.

٧٢ ـ **المثنوي**، الدفتر الثالث، حكاية صيّاد الأفاعي والتنين.

٧٣ ـ **الإحياء**، ج٢/ كتاب آداب العزلة، ص٢٢٨.

٧٤ ـ ن. م، ج٣/كتاب ذمّ الغرور، ص٣٩٦.

٧٥ ـ **المثنوي**، الدفتر الرابع، حكاية سليمان وبلقيس.

٧٦ ـ **الإحياء**، ج٤/ كتاب المحبّة والشوق والإنس والرّضا، ص٣١٤.

٧٧ ـ ن. م، ج٤/ كتاب الخوف والرجاء، ص١٧٧ ـ ١٧٨.

٧٨ ـ **المثنوي**، الدفتر الثالث، ظهور حمزة (رض) في الحرب حاسراً.

٧٩ ـ **الإحياء**، ج٢/ كتاب آداب النكاح، ص٢٤ ـ ٢٥.

٨٠ ـ **المثنوي**، الدفتر الأوّل، حكاية الأسد والوحوش.

٨١ ـ **الإحياء**، ج٣/ كتاب شرح عجائب القلب، ص١٨.

٨٢ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذمّ الكبر والعجب، ص٣٤٨.

٨٣ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذمّ الغرور، ص٣٩٥.

٨٤ ـ **المثنوي**، الدفتر الرابع، في تفسير الحديث النبوي: «إنّ الله تعالىٰ خلق الملائكة...».

٨٥ ـ ن. م، الدفتر الثالث، حال الأعمىٰ الذي يرىٰ البعيد والأطرش الذي يسمع جيّداً.

٨٦ ـ ن. م، الدفتر الخامس، قصّة الحكيم والطاووس.

٨٧ ـ **الإحياء**، ج١/ كتاب العلم، ص٥٥.

٨٨ ـ ن. م، ج١/ كتاب العلم.

٨٩ ـ ن. م، ج١/ كتاب قواعد العقائد، ص٩٧.

٩٠ ـ ن. م، ج٤/ كتاب الخوف والرّجاء ص١٧٥ ـ ١٧٦.

٩١ ـ **المثنوي**، الدفتر الخامس، حكاية الحكيم والطاووس.

٩٢ ـ ن. م، الدفتر السادس، قصّة الفقير الذي يبحث عن الكنز.

٩٣ ـ ن. م، الدفتر السادس، حكاية المسلم واليهودي والمسيحي.

٩٤ ـ ن. م، الدفتر الرابع، قصّة نمو شجرة الخرّوب في زاوية المسجد الأقصىٰ.

٩٥ ـ ن. م، الدفتر الأول، في بيان أنين الحنّانة من فراق الرّسول (ص).

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

٩٦ ـ **الإحياء** ج٣/ كتاب شرح عجائب القلب، ص١٩ ـ ٢٠.
٩٧ ـ **المثنوي**، الدفتر الثاني، نصيحة الصوفي للخادم.
٩٨ ـ ن. م، الدفتر الثاني، حكاية الرّجل الأحمق والدبّ.
٩٩ ـ ن. م، الدفتر الأول، في بيان اضمار حال النفس وسكرها.
١٠٠ ـ **الإحياء**، ج٣/ كتاب شرح عجائب القلب، ص٢٠.
١٠١ ـ **المثنوي**، الدفتر السادس، بيان استمدار العارف من منبع الحياة الأبدية.
١٠٢ ـ ن. م، الدفتر الرابع، مدح العقلاء من قبل النبي.
١٠٣ ـ **الإحياء**، ج٣/ كتاب ذمّ الدنيا، ص٢٢٧.
١٠٤ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذمّ الجاه والرّياء، ص٢٨٢: «لأنّ في العلم استيلاء على المعلوم وهو نوع من الكمال الذي هو من صفات الربوبيّة...».
١٠٥ ـ ن. م، ج٢/ كتاب الحلال والحرام، ص١٠٩.
١٠٦ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذمّ الجاه والرّياء، ص٣٢٦ ـ ٣٢٧.
١٠٧ ـ ن. م، ج٣/ كتاب ذمّ الغرور، ص٤١٣.
١٠٨ ـ ن. م، ج٤/ كتاب المحبّة، ص٣٣٧.
١٠٩ ـ **المثنوي**، الدفتر الأوّل، قصّة « پير چنگی ».
١١٠ ـ ن. م، الدفتر السادس، قصّة الغريب المديون، إنّ المرحوم فروزانفر في كتاب «أحاديث مثنوي» بعد ذكر هذه الأبيات، ينقل الحديث التالي ويقول إنّ هذه الأبيات متناسبة مع هذا الحديث «لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوة أبداً ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ولا دخلتم بيتاً تستظلّون به ولمررتم إلى الصعدات تلدمون صدوركم وتبكون على أنفسكم» (أحاديث مثنوى، ص٢١٦)؛ لكنّ المطّلع على كتابات الغزالي يعلم أنّ تلك الأبيات، قبل أن تحتوي على مضمون هذا الحديث، تحتوي على نفس ألفاظ وأفكار الغزالي.
١١١ ـ **المثنوي**، الدفتر الرابع، قصّة بناء المسجد الأقصى من قبل سليمان.
١١٢ ـ ن. م، الدفتر الرابع، في تمثيل الدنيا بالأتون، والتقوى بالحمام، والمترفون لجمالة السرجين.
١١٣ ـ ن. م، الدفتر السادس.
١١٤ ـ ن. م، الدفتر الرابع، سؤال رجل من عيسى (ع).
١١٥ ـ **الإحياء**، ج١/ كتاب العلم، ص١٧.
١١٦ ـ **المثنوي**، الدفتر الأوّل، حكاية الرّجل النحوي في السفينة.
١١٧ ـ «فلا يتقدّم متقدّم ولا يتأخّر متأخّر إلّا بالحق واللزوم، وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولو لا ذلك لكان التقديم والتأخير عبثاً يضاهي فعل المجانين، تعالى الله عن قول الجاهلين علوّاً كبيراً». (**الإحياء**، ج٤/ كتاب التوحيد والتوكّل، ص٢٥٥).
١١٨ ـ **المثنوي**، الدفتر الخامس، حكاية الجبري ومؤمن من أهل السنّة.
١١٩ ـ **الإحياء**، ج٣/ كتاب ذمّ الغرور، ص٣٨٩.
١٢٠ ـ ن. م، ج٤/ كتاب الخوف والرّجاء، ص١٥٩ ـ ١٦٠. أبو الفضل عبدالرحيم العراقي الذي جمع أسناد أحاديث إحياء العلوم في كتاب **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار**، يقول عن هذا الحديث الذي مضمونه: إنّي لم أجد له أصلاً، ويمكن أن يكون مقصود الغزالي أنّ هذا الخبر من الإسرائيليّات. إنّ المرحوم فروزانفر لم يشر أيضاً إلى هذه الأبيات وإلى اقتباس المولوي من هذا الحديث المُنْتَحَل في كتابه «**أحاديث مثنوي**».
١٢١ ـ **المثنوي**، الدفتر السادس، مناظرة الطير والصيّاد.
١٢٢ ـ **الإحياء**، ج٤/ كتاب التوحيد والتوكّل، ص٢٦١ ـ ٢٦٢.
١٢٣ ـ **المثنوي**، الدفتر الرابع، قصّة نمو شجرة الخرّوب في زاوية المسجد الأقصى.
١٢٤ ـ ن. م، الدفتر الثالث، صفة بعض الأولياء الراضيين بأحكام القدر.
١٢٥ ـ ن. م، ج٣، قصّة الدقوقي.
١٢٦ ـ **الإحياء**، ج٤/ كتاب المحبّة، ص٣٥١.
١٢٧ ـ ن. م، ج٤، ص٣٥٢، و ج٢/ كتاب آداب النكاح، ص٢٥: «أمّا الكفر والشر فلا نقول إنّه مرضيّ ومحبوب بل هو مراد...».
١٢٨ ـ **المثنوي**، الدفتر الثالث، التوفيق بين هذين الحديثين اللّذين...
١٢٩ ـ **الإحياء**، ج١/ كتاب العلم، ص٣٥ ـ ٣٦.
١٣٠ ـ ن. م، ج٢/ كتاب آداب السماع والوجد، ص٢٧٥.
١٣١ ـ أنظر **مناقب العارفين**، ج١، ص٤٨٣ ـ ٤٨٤.
١٣٢ ـ **المثنوي**، الدفتر الرابع، بيان سبب الفصاحة..
١٣٣ ـ ن. م، سبب هجرة إبراهيم الأدهم.
١٣٤ ـ ديوان شمس، غزل ٣٠٤.
١٣٥ ـ **الإحياء**، ج٤/ كتاب التفكّر، ص٤٢٨.
١٣٦ ـ ن. م، ج٢، كتاب آداب السماع والوجد، ص٢٨٠.
١٣٧ ـ **المثنوي**، الدفتر الخامس، في معنى حديث «لا رهبانيّة في الإسلام».
١٣٨ ـ ن. م، الدفتر الأول، قصّة الملك والجارية.
١٣٩ ـ **الإحياء**، ج٣/ كتاب شرح عجائب القلب، ص٣٨.
١٤٠ ـ ن. م، ج٤، كتاب المحبّة، ص٣١٥.
١٤١ ـ **المثنوي**، الدفتر الثاني، تهكّم الصوفيّة عند الشيخ على ذلك الصوفي.
١٤٢ ـ **الإحياء**، ج٣/ كتاب ذمّ الكبر والعجب، ص٣٦٤. إنّ المرحوم فروزانفر قد أورد حديثين يتناسبان مع مضمون هذين البيتين المنقولين. لكنّه بالنّظر إلى ماجاء في إحياء العلوم نرى أنّ هذين البيتين ترجمة صادقة لكلام الغزالي. (راجع: أحاديث مثنوي، ص٢٠٧).
١٤٣ ـ **المثنوي**، الدفتر السادس. قصّة المسلم واليهودي والمسيحي.
١٤٤ ـ **الإحياء**، ج٤ / كتاب المراقبة والمحاسبة، ص٤١٨.
١٤٥ ـ **المثنوي**، الدفتر الثاني، قصّة العطشان الذي يرمي الحصى في الجدول.
١٤٦ ـ **كيمياي سعادت**، الغزالي، ج١/ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص٥١٧، (تحقيق حسين خديو جم، مركز انتشارات علمي وفرهنگي، طهران ١٣٦١ش). يقول المرحوم فروزانفر: «لم

Page 21

Downloaded from aijh.modares.ac.ir at 10:32 IRDT on Monday August 31st 2020

أعثر على هذا الحديث بالشكل الذي ورد في **المثنوي** في أي مصدر»؛ ثم ينقل قصّة متعلّقة بعمر تناسب المقام من **إحياء علوم الدين**، نقلها الغزالي في كتاب **كيمياي سعادت** بعد قصّة علـيّ والصنديد الكافر أيضاً (راجع: **مآخذ قصص وتمثيلات مثنوي**، ص٣٧). وجـدير بالـذكر أنّ الأستاذ يوسفي نبّه سابقاً إلى هذه النقطة (راجع: غلام حسين يوسفي، «**از كيمياي سعادت**»، **آرام نامه**، ص١٩٤، طهران، ١٣٦١ش).

١٤٧ ـ **المثنوي**، الدفتر الأوّل، القصّة الأخيرة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی